حسين شوقي

من يوميات فتاة عصرية



من يوميات فتاة عصرية

١٤

تصدرها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
بمعاونة الدكتور طه حسين بك والأستاذ [illegible]
وعباس محمود العقاد و [illegible]


AL MAAREF
١٢٩٧ ١٨٩٠

١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٨ — اليوم عدنا من الإسكندرية وكنا عادة نتأخر فيها لغاية أكتوبر كما نفعل أصحاب الوجاهة (!) ولكن أبي كان ملزماً هذا العام أن يبكر في العودة إلى القاهرة لبعض الأعمال فلم نشأ عندئذ — أمي وأنا — أن نتركه يرجع وحيداً .. ولو أنه عرض علينا أن نتخلف نحن بالثغر .

عدنا بالسيارة عن طريق الصحراء . حقاً ما كان أصدق ذلك الذي شبه هذا الطريق بثعبان طويل أسود ، الطريق نظيف ولو أنه يبعث الملل في النفس لعدم تغير مناظره فأينما تلتفت لا تجد غير الرمال .

إني مغتبطة بهذه العودة لأني مللت الإقامة بالإسكندرية فهي مدينة ضيقة . وإن أسفت على فراق شيء هناك فإني آسف على البحر إذ هو حقاً جميل رائع ، فما أطيب الجلوس على الشاطىء حيث يستنشق المرء هواء البحر المالح المنعش وكذلك ما ألطف الجرى أمام الأمواج الثائرة أثناء الاستحمام . وفي الليل عند ما نهم بالاستسلام إلى النوم ما أرق همس الموج في آذاننا !

١٧ سبتمبر — وقع اليوم فى نادى « س » . الرياضى حادث قبيح وما كنت أود أن أدوّنه فى هذه المذكرات لولا ما تفرضه الأمانة علىّ من تدوين كل شىء . وهذا ما حدث : ذهبت إلى النادى فى الصباح لألعب «التنس» مع إحدى الصديقات ولكنها لم تحضر ثم وجدت هناك بالمصادفة (فتحى) وهو شاب لطيف . غير أن معرفتى به بسيطةً لا تتعدى حدود النادى . وكان فتحى هذا ينتظر بدوره فتاة تدعى سونيا ، هى أيضاً بالنسبة لى من معارف النادى غير أنى كنت لا أميل إليها لكبريائها إذ كانت تفخر بأنها بنت وزير سابق . وكانت سونيا هذه قد تخلّفت هى أيضاً عن الحضور. فعرض علىّ عندئذ فتحى أن نلعب معاً . قلت : لا مانع من جهتى ولكن أخشى إن حضرت سونيا ظنتنى السبب فى عدم انتظارك لها، لأنى كنت أعلم بميل الفتاة إليه. قال: أى حق لها فى الاعتراض بعد كل هذا التأخير ؟ قلت : ما دام هذا رأيك فلامانع عندى هيّا بنا . ثم توجهنا إلى ساحة التنس ولكننا لم نكد نبدأ الشوط الأول حتى رأينا سونيا مقبلة مكفهرة الوجه. ولما دنت منا حيتها معتذرة لها عن أنى حللت محلها فى اللعب . فردت تحيتى فى برود ، أما اعتذارى فلم تعبأ به . ثم التفتت إلى فتحى

صائحة فى وجهه : لماذا لم تنتظرنى ؟ قال فى صوت خافت (بعد ما كان يتظاهر بعدم الاكتراث من مدة قصيرة) لأنك تأخرت يا عزيزتى . . . على كل حال أنا مستعد لأن ألاعبك حينما نفرغ من هذا الشوط فقط . . قالت فى تهكم : بل تستطيع أن تلعب مع صديقتك الجديدة كيفما شئت : هذا الشوط ثم الشوط الذى يليه بل الأشواط القادمة كلها . لأنى لن ألعب معك بل لن أكلمك بعد اليوم . قلتُ غاضبة : لك أن تلومى صاحبك كما يتراءى لك. ولكن حذار أن تعرضى بى .. صاحت : أو ماتنكرين أنك كنت تبغين مغازلته تحت ستار اللعب ؟ قلت : كفى وقاحة وإلا أدّبتك . أفهمت ؟ وهممت أن أوذيها بالفعل بالمضرب غير أن (فتحى) حال دون ذلك . صاحت : أتتطاولين علىّ؟ ألا تعلمين بنت من أنا ؟ قلت فى سخرية : لا يا آنستى لا أجهل بنت من أنت إذ لا يوجد أحد فى النادى بل فى المدينة بل فى القطر كله يجهل حسبك ونسبك فإنك لم تتركى أحداً دون أن تخبريه بأنك بنت وزير سابق ، ولكن صدقينى ، خير لك أن تكونى بنت فلاح بسيط ومؤدبة من أن تكونى بنت وزير سابق وقليلة الأدب .

ثم تناولت معطفاً خفيفاً كنت أحضرته لألبسه بعد الانتهاء من اللعب ، وغادرت المكان غير عابئة بقذائف الشتائم التى شيعتنى بها . فإذا ابتعدت عنها رأيتها تحولت إلى صاحبها فتحى تصب عليه جام غضبها . والعجيب فى أمره أنه كان يلاطفها ويهدئ من روعها بدلاً من أن يصفعها لقلة أدبها .

حقاً ما أبعدنا عن الروح الرياضية !

* * *

١٨ سبتمبر – تحدثت إلىّ فى التليفون صديقتى علية تسألنى ما إذا كنت حقيقة قد ضربت سونيا بالأمس فى ساحة التنس بالنادى قلت لا و ياللأسف لأننى هممت بذلك فحال فتحى دون تحقيق هذه الرغبة . فأثنت علىّ علية ثناءً حاراً من أجل ذلك قائلة إننى أشجع فتاة عرفتها و إن الدرس الذى ألقيته على تلك الفتاة المغرورة سونيا لجدير بأن يذاع على الملأ . . ولكن الواقع أن كره عليّة لسونيا لم يكن سببه غرور الفتاة وقلة أدبها كما تدعى، بل ميلها هى أيضاً لفتحى مع تفضيله سونيا إذ هى بنت رجل عظيم قد يفيد من نفوذه فى التوظف حينما ينتهى من دراسته هذا العام . ثم سألتنى عليّة إذا كنت أحب أن ألعب معها التنس اليوم بعد الظهر،

فاعتذرت قائلة إنى كرهت الرياضة من أجل سونيا ولن أعود مرة ثانية إلى النادى حتى لا يقع نظرى على وجهها البغيض .

حاولت عليَّة أن تثنينى عن عزمى بإلحاحها ولكنى لم أتحول عن عزمى لأنى فتاة من أصل شركسى عنيدة . . . ثبتُّ فى الدفاع عن رأيى وكأنى أدافع عن إحدى قلاع الوطن العزيز . أما إلحاح عليَّة علىّ فأظن أن مصدره لم يكن رغبتها فى اللعب معى بل الرغبة فى إغاظة منافستها .

* * *

٢٠ سبتمبر – لاحظت اليوم حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وأنا أخترق الدهليز عائدة من الحمام إلى غرفتى أن غرفة أبى خالية خاوية ، عَلَى حين كانت الأصوات تنبعث من غرفة أمى ، بل تبينت فيها صوت أبوى ، كانا يتحادثان فى عنف على غير عادتهما الأمر الذى أدهشنى حقاً . . . إذ كان من شأنهما الاستسلام إلى الراحة فى مثل هذه الساعة الحارة من النهار . . . فما الذى حدث يا ترى ؟ ثم زادت دهشتى وانتابنى شىء من القلق حين سمعت أمى العزيزة تنتحب وعهدى بها باشة دائماً بل لم أرها تبكى قبل الآن إلا مرة واحدة – منذ ثلاث سنوات –

لدى وفاة أختها جليلة هانم . . . فاقتربت من باب غرفتهما لأسترق السمع ، مع علمى بأن عملى هذا بعيد عن الأدب بل هو عمل قبيح شنيع . . . غير أنى لم أستطع تحقيق هذه الرغبة إذ سمعت فى هذه الأثناء وقع أقدام تصعد السلم ، نخفت أن أفاجأ وأنا على هذه الحال فأسرعت فى الهرب عائدة إلى غرفتى . . . ترى ماذا هناك ؟ لقد عهدت أبوى مثال الزوجية الصالحة ، وكيف لا يكونان كذلك وهما على انسجام تام من حيث الأخلاق . لم أشهد لهما شجاراً واحداً فى حياتى قبل اليوم . . . وهما من أصل واحد . . . شركسى . .

ولقد رأيت من آيات المحبة بينهما ألواناً منها أن أبى كان يشغل من سنوات منصباً فى الحكومة ضحى به من أجل أمى ، إذ تقرر نقله إلى الصعيد مع الترقية . ولما كانت الحرارة هناك لا توافق صحتها إذ تشكو من الكبد ، آثر الاستقالة . .

إذن ماذا هناك ؟ متاعب مالية ؟ لا أظن ذلك لأننا وإن لم نكن أغنياء ، فى سعة من العيش ولله الحمد ، نمتلك مئتى فدان فى الغربية على مقربة من طنطا ، أرض كلها جيدة ، كما أن المنزل الذى نقطنه ملكنا ، كذلك الحياة التى نحياها بسيطة

لا أثر فيها للظاهر ، فكل بذخنا ينطوى على سيارة متوسطة الحجم نستبدل بها كل ثلاث سنوات ، ثم منزل استأجره فى الرمل فى فصل الصيف من أجل كبد أمى التى لا تتحمل حرارة القاهرة فى ذلك الفصل ، أما أوربا فلم نشاهدها إلا مرة واحدة فى العام الماضى حينما أقيم فى باريز المعرض الدولى ومع ذلك كانت نفقات السفر مخفضة لهذه المناسبة حتى خيّل لى وقتئذ أن مصر بأسرها انتقلت إلى باريز . . وأبى لا يقامر بل لا يغشى الأندية مطلقاً يقضى وقته ، حينما يكون خارج المنزل ، فى قهوة متواضعة بجوار ميدان الأوبرا يطالع الصحف ويعلق عليها مع بعض الأصدقاء القدماء . . . وليس لأبوى ذرّية كبيرة يرهقهما الانفاق عليها فأنا بنتهما الوحيدة . . إذن ماذا حدث حتى أسمع أمى تنتحب ؟ أظن أن مثل هذا الأمر سوف أعلم به نظراً لخطره ، عاجلاً أو آجلاً .

فى الساعة الخامسة هبطت إلى البهو كى أتصل فى التليفون بصديقتى عليّة لتأخذنى معها فى سيارتها إلى حفلة الشاى التى دعتنا إليها «رفيعة» ... كانت أمى هناك فى البهو إذ ذاك تجلس كعادتها على المقعد الجلدى الوثير بالقرب من المائدة التى وضعت

عليها آلة التليفون وكانت بيدها إحدى صحف المساء تطالعها أو تتظاهر بمطالعتها لتخفى عنى آثار الحـزن التى ارتسمت على محياها . . . . أما أبى فلم أره ولعله خرج . . . . قالت أمى بعد أن فرغت من حديثى فى التليفون ، فى ابتسامة مصطنعة : أأنت ذاهبة إلى رفيعة ؟ . . قلت : أجل ، قالت : هل ينتظر أن تتأخرى هناك ؟ قلت : ربما .. قالت : إذن خذى معك المعطف لأن الجو متقلب الآن ، والليالى الأخيرة من سبتمبر تميل إلى البرودة .... قلت : حسناً ، سأفعل ! ثم تناولت بدورى مجلة قديمة مطروحة أمامى على المائدة وجعلت أتصفحها على غير هدى بقصد تمضية الوقت لحين حضور عليّة ، حتى لا أحمل أمى المسكينة على الكلام وهى على هذه الحال من الحزن والكآبة . . . ولم يمض زمن طويل على ذلك حتى سمعت صوت سيارة عليّة فأسرعت فى الخروج إليها بعد أن ودعت أمى بقبلة خاطفة على جبينها المحبوب . وكنت آمل وأنا أغادر عتبة المنزل أن كل شىء يسوّى قريباً ، مدفوعة فى هذا الأمل بتلك الثقة التى تبعثها فينا حرارة الشباب .... ولو لم تكن عندى أية فكرة عن ذلك الشىء الذى كنت أرجو تسويته . . . .

* * *

٢١ منه — كانت أمسية صاخبة لذيذة تلك التى قضيناها عند رفيعــة إذ التقينا هناك بكل زميلاتنا القديمات من مدرسة « المردى ديو » عدا أمينة المسكينة التى عصمت بشبابها حمى التيفوئيد فى العام الماضى ..... رباه كم ذرفت من دموع على أمينة هذه... وما كان أجمل أمينة بقوامها الممشوق وعينيها اللتين تشبهان عينى الغزال حقاً ما أقسى الموت ! ... إننى كلما فكرت فيها تذكرت أبيات الشاعر الفرنسى « سولى پرودوم » التى تقول :

لم تعش إلا لصبــح هكذا عيش الورود
أجمــل الأشــياء طراً حظـــــه حظ قَعود

ترى أين هى الآن أمينة ؟ أما زالت ترفرف روحها الطاهرة حولنا ، أم سئمت هذا العالم الباهت فذهبت إلى عالم أفضل ؟ .

حبيبتى أمينة . إنك ما زلت تحتلين المكان الأول فى قلب صديقتك .

لنعد إلى حديث السهرة .... كانت حفلة رفيعة حفلة شاى بالاسم فقط ولكن بالفعل كانت حفلة « كوكتيل » ....

مسكين أيها الشاى إنك لم تعد تؤثر فى أعصابنا نحن فتيات اليوم اللواتى ولدن فى زمن السرعة والجلبة والثورات ! .. لقد حضر الحفلة أيضاً كثير من إخوة صديقاتنا مما ساعد على تحويل منزل رفيعة إلى مرقص .... أما أنا ، فعلىّ أخو رفيعة لم يتركنى لحظة واحدة طول الليل دون أن يراقصنى . ومع ذلك لم أتضايق من هذا التصرف لأنه شاب لطيف حسن المنظر ، ولو أنى لا أحب شاربه القصير الذى يقلد به أحد نجوم السينما الأمريكان « كلارك جيبل » ..... مساكين شبابنا إنهم يقلدون نجوم السينما تقليداً أعمى .... طلبت من علِى أن يزيل هذا الشارب فقبل على شرط ألاّ أراقص غيره طول السهرة ، فرضيت بشرطه حتى أنقذه من هذا الشارب السخيف .... ناوانى علىّ عدة أقداح « من الكوكتيل » فى تلك السهرة ثم جذبنى من يدى إلى الشرفة الخلفية التى تطل على الحديقة حيث شرع يقبلنى ... حقاً يا له من فتى أحمق .. إننى لم أكن فى حاجة إلى تناول مثل هذا القدر من الخمر لأسمح له أن يفعل هـذا إذ كنت أرضى بقبلاته بدون حاجة إلى « كوكتيل » لأنه كما قلت من قبل — شاب لطيف ، حسن المنظر ، ثم إن (على) يعتبرونه كلهم

خطيبي . وأمه لا تفكر إلا في هذا ، أو بالأحرى هي تفكر في المثتى فدان التي تمتلكها في الغربية .... أما أنا فرأيي أن (علي) لن يكون زوجاً كاملا ، إذ أن أمثاله من فتيان اليوم لا يصلحون إلا للغزل أو الرقص أو لعب « التنس » ..... كنت أفضل للزواج رجلا ناضجاً فوق الثلاثين يقدّر الزوجية . . كمحمد بك مثلا ...... ذلك السيد الذي عاد معنا في العام الماضي على الباخرة « النيل » من معرض باريز . حقاً إنه يعجبني كثيراً ولو أنه ناهز الأربعـــــين إذ تسللت إلى فوديه طلائع المشيب . . . . أحبه لأنه عظيم الشبه بنجمي السينمائي المفضل « جاري كوبر » ... وأحبه لأنه رجل جم الأدب عظيم المروءة . أذكر أننا لما كنا على ظهر الباخرة ، قامت ذات ليلة عاصفة هوجاء جعلت تهز النيل هزاً عنيفاً فلزم أبواى عندئذ « القمرة » وهما يستنزلان اللعنة على « آلهة البحر » أما أنا فقد صعدت إلى ظهر السفينة كي أتحدى العاصفة بقوة شبابي ، ولكنى لم ألبث أن شعرت بمعدتي تغوص وبرأسي يدور ثم كدت أسقط على الأرض لولا أن ساعداً قوياً حال دون ذلك في الحال ألا وهو ساعد محمد بك . . . صحبني بعد ذلك محمد بك إلى قمرتنا في الدور

الأول حيث أخذت بدورى استمطر اللعنات على البحر . . . .
وفى صباح اليوم التالى حينما سكنت الأمواج وعادت الأحوال
إلى طبيعتها صعدنا إلى ظهر السفينة فوجدت هناك مسعفى يتمشى
بمفرده فمددت إليه يدى شاكرة . ثم قدم هو نفسه إلى أبوى
اللذين كررا إليه الشكر من أجل معونته لى . ثم صار محمد بك
بعد ذلك لا يفارقنا لحظة حتى وصلنا إلى الإسكندرية . كذلك
يقدر أبى محمد بك لأنه فوق أدبه مثقف جداً طالع كثيراً
وسافر كثيراً . . . وأظن أن أبى يود أن يزوجنى منه على رغم
السنوات الكثيرة التى بيننا ، ولكن محمد بك مع الأسف
لم يطلبنى بل لا أظنه يفكر فى مثل هذا الأمر مطلقاً ، ولقد
عاملنى كطفلة أثناء الرحلة إذ رآنى مرة أدخن سيجارة بعد تناول
العشاء فنهرنى وألقى بها فى اليم قائلا إن « النيكوتين » قد يفسد
صدراً صغيرا مثل صدرى . . . . وأعجب أبواى جداً بهذا
التصرف . ورغبت مرة مشاركة بعض المسافرين لعبهم البوكر
فى قاعة التدخين فعارض فى ذلك أيضاً محمد بك قائلا إن البوكر
ليس من الألعاب التى تناسب الفتيات الصغيرات مثلى . حقاً !
أنه يعتبرنى طفلة لا أكثر . . . . ولو أن هنالك بائع لعب على ظهر

السفينة لما تردد فى شراء دمية لى منه .... ولكنى على الرغم من هذا أقدره وأحبه لأنه فى كل هذه التصرفات الشاذة لم يكن ينظر إلا لصالحى ....

عقب عودتنا إلى القاهرة زارنا محمد بك فى البيت بعد أن استأذن بالتليفون ثم دعانا فى اليوم التالى إلى تناول الشاى فى فندق « شبرد » حيث اعتاد الإقامة كلما قدم إلى القاهرة من عزبته بالمنيا ... وعنده هنالك نحو ألف فدان من أجود الأطيان كما يقول أبى . وقد رقصت معه مرتين أثناء الشاى ، إنه يجيد الرقص كل الاجادة . وقد دعاه أبواى أيضاً إلى تناول طعام العشاء عندنا ، أعجبه طعامنا وبخاصة طبق « الشركسية » التى أوصى بها ، وأشرفت أمى بنفسها على إعدادها ... ثم ذهبنا جميعاً بعد العشاء إلى السينما بناء على دعوته ، حيث شاهدنا شريطاً بطله نجمى المفضل جارى كوبر فكنت سعيدة حقاً فى جلستى أشاهد هذا النجم المحبوب على الشاشة البيضاء بينما جاس تمثاله إلى جانبى يتحدث إلىّ ... . وقد أخبرت محمد بك أثناء العرض بالشبه العظيم بينه وبين جارى كوبر فضحك لهذه الملاحظة قائلاً إنه على كل حال يكبره كثيراً .

الساعة ٩ من مساء اليوم نفسه — دعانى الخادم إلى تناول طعام العشاء وكنت مشغولة بمطالعة رواية فرنسية فى غرفة نومى فلما هبطت إلى الدور الأول حيث توجد غرفة الأكل رأيت أبوى قد سبقانى إليها وكان الحزن يعلو وجهيهما على خلاف العادة . . . إذن فحادث الأمس لم يسوّ بعد . . . ترى ما هو ؟ تناولنا طعامنا فى صمت عجيب لا عهد لى به . . . . فأسرعت فى سؤال أمى عندما انصرف أبى من الغرفة عن سبب حزنهما ، فنظرت أمى إلىّ طويلا ثم قالت وهى تتنهد : لا شىء يا حبيبتى لا شىء . . . .

رباه كم أشعر بالألم من أجل ألم أمى !

***

٢٣ سبتمبر — (صباحا) أبى رجل ظريف إلى حد بعيد إذ لم يكد يعلم برغبتى فى الخروج هـذا الصباح لقضاء بعض الأمور بالمدينة حتى تنازل لى عن السيارة . . . أما هو فقد ركب الترمواى .

كان علىّ فى أول المطاف أن أؤدى أحد فروض المدنية الحديثة بل أهمها وأثقلها على النفس ألا وهو تنسيق الشعر . قضيت

عند المزين حوالى ساعة ونصف ما بين انتظار وتجميل . أف له
من فرض متعب ! وجدت هناك السيدة « م » قرينة أحد كبار
أغنيائنا تدلك وجهها وكان المزين منهمكا فى مكافحة التجاعيد
التى علت وجهها من الكبر بمختلف المعاجين لأن السيدة لا تريد
أن تتنازل عن شبابها الوهمى إذ هى مغرمة ، ويا للأسف ، بشاب
يكاد يكون ابنها من حيث السن ، تغدق عليه من مال الزوج
المسكين ما يشاء حتى لا يتخلى عنها ! إنه المزين الذى أخبرنى
بكل هذه المعلومات المدهشة حينما انصرفت السيدة . ترى ماذا
سيقول عنى أنا بدورى لدى انصرافى من عنده ؟ حقا ياله من
مزين نمّام !

قصدت بعد ذلك دكانا لبيع تحف منزلية صغيرة حيث اشتريت
مصباحا مصنوعا فى (سيفر) لأقدمه هدية عرس لصديقتى «عديلة»
التى سوف أزورها فى بيتها الجديد مساء اليوم .. إن المصباح آية
فى الجمال لذلك أفكر فى الاحتفاظ به لنفسى ، تبّا لك يا سميحة !
ما هذه الأثرة القبيحة التى تظهرينها ؟ ثم ذهبت إلى إحدى
المكتبات حيث اقتنيت آخر مؤلف ظهر للكاتب الفرنسى
«هنرى دى منترلان» ذى الأسلوب الرشيق والأفكار المبتكرة

الخلابة . حقا أن الـكتب الأوربية لألطف فرض نؤديه لتلك المدنية بل هو أقل فروضها نفقة

اشتريت بعد ذلك بضعة أزواج من الجـوارب وهى أغلى شىء فى ملابسى لأن الجورب مع الأسف لا يحتمل أكثر من لبسة أو لبستين ثم يتمزق . آه لو كنت حرة التصرف لما لبست جوارب أبداً بل لخرجت عارية الرجلين . ولـكن ما الحيلة مع أهل الوجاهة الذين يستقبحون جدا خروج الفتاة الراقية أوالسيدة النبيلة بدون جورب ؟

(فى المساء) — صديقتى عديلة تقيم فى شقة صغيرة لطيفة بمصر الجديدة ولـكنها مع الأسف حشيت حشوا بالأثاث ذى الوزن الثقيل ، فالصالون مثلاً وضعوا فيه « طقما » ضخما جعل التحرك فى أركانه صعباً كأنه ميناء ماغم عليك أن تسير فيه بكل حذر . فهمت من نظرة عديلة إلىّ أثناء مشاهدتى له بأنها لم تكن صاحبة هذا الاختيار . . بل هذا طلب زوجها . . على فكرة : إنى لم أقدم هذا الزوج بعد : إنه شاب فى مقتبل العمر حسن المنظر ذو شارب قصير يقلد به هو أيضا أحد نجوم السينما الذى لا يحضرنى اسمه الآن . أما لبسه فمتكلف ولـكنه « بلدى »

و يبدو لى أنه متسلط على عديلة تسلطاً عجيبا . فكل شىء يقوله
أجد عديلة تردد صداه بلا روية أو تفكير . لا شك أنها مدلهة
بحبه و إلا لماذا كل هذا الانصياع على كل حال لن أصير مثلها
يوما ما . . . مهما أحببت ، أليست كرامتك فوق كل شىء
يا سميحة ؟ أعجبت هديتى عديلة . أما زوجها فقد بدا لى من نظرته
أنه استرخصها ولو أنه تظاهر بالإعجاب بها من باب المجاملة إذ
صاح : حقاً ! ياله من مصباح صينى جميل ! احمر وجه عديلة خجلا
لدى سماعها هذا القول من زوجها المسكين الذى لم يميز بعد ،
بين السيفر والصينى. أما أنا فقد تظاهرت بأننى لم أسمع شيئا حتى
لا أزيد عديلة إحراجاً . على كل حال إنى أتمنى لها حظاً سعيداً
مع هذا الزوج لأنها فتاة على جانب كبير من الطيبة .

وجدت مع الأسف لدى عودتى إلى المنزل ، خصوصا فى
أثناء تناولنا العشاء ، أبوى وأنا ، أن الكآبة التى شاهدتها
بالأمس مخيمة على وجهيهما لم تنقشع بعد . ترى ما ذا هناك ؟

٢٤ منه — رفيعة وأخوها مرا على بعد ظهر اليوم لأذهب
معهما إلى قصر السيدة «ن» . حيث نقوم نحن وغيرنا من أبناء
البيوتات « بپروفات » الحفلة الساهرة التى تقيمها السيدة عندها

الضمان . لعنة الله على الضمان . لقد ضمن أبوك صديقه القديم حسين بك فى مبلغ جسيم غرق فيه ، وها نحن أولاء نغوص فيه بدورنا . . . حزنت جداً وانتابنى غم شديد لما حدث . ولكنى على الرغم من ذلك لم أستطع كتمان ضحكة صدرت منى حينما فكرت فى أمر عزيزة هانم أم خطيبى على والغضب الذى سينتابها حين تعلم أن عزبتنا فى الغربية لن تؤول إلى ابنها بعد .

* * *

٢٦ منه — دعانى أبى فى هذا الصباح إلى غرفته حيث كانت هناك أمى أيضاً ، وكانت جالسة فى مقعد وسط الغرفة و بيدها منديلها تجفف به دموعها من وقت لآخر ، أما أبى فكان واقفا إلى جانبها يبدو وكأنه قد كبر عشر سنوات مرة واحدة . . . حقا . كم أحزننى منظرهما ! إنه يذكّرنى بتلك الصورة الزيتية الرائعة التى شاهدتها فى أحد متاحف باريز فى العام الماضى تمثل أسرة فرنسية نبيلة ، أثناء ثورة سنة ١٧٨٩ الكبرى وهى بالسجن تنتظر ، فى كآبة ، العربة التى ستقلها إلى المقصلة . . . . ابتدرنى أبى قائلا فى صوت متهدج : إذن أنت تعلمين بنبأ الكارثة . قلت : أجل يا أبى . . . قال : سميحة إننى أذنبت

فى حقكما إذ لم يكن يحق لى أن أهد كيانكما على هذه الصورة ، لكن صدقينى كان لزاما على أن أمد حبل النجاة إلى صديقى ، بل صديق العمر حسين بك ، فقد كان المفروض أن ينجو من الخراب بهذا الضمان ، ولكن الأقدار شاءت غير ذلك فضاع حسين بك على الرغم من مساعدتى له كما ضعنا معه . . . . فقدنا كل شىء يا ابنتى ، عزبة طنطا ومنزلنا هذا الذى أحبه وأعزه من أجلك لأنك ولدت وترعرعت فيه . . . ثم توقف قليلا عن الكلام ثم عاد فقال : لا تبقى لنا بعد هذه الكارثة غير دخل ضئيل نحو مائتى جنيه فى العام من بعض الأملاك الموقوفة لجدك من أمك . . . . وهناك أيضا دار حقيرة وقف ، فى حى السيدة زينب أجرها جنيهان فى الشهر . . . . فأجبت فى حماسة مصطنعة حتى أخفف عليهما أثر الصدمة : إذن الحالة ليست سيئة إلى الحد الذى تتصوره يا أبى . . . إذ يمكننا مثلا الإقامة بهذا المنزل القديم بعد أن ندخل عليه بعض الإصلاحات الضرورية فنقتصد بذلك أجرة السكن . . كما أنى أستطيع مضاعفة هذا الدخل وذلك بالعمل ككاتبة أو سكرتيرة فى مكتب إحدى الشركات فإنى كما تعلم أجيد الفرنسية والإنجليزية .

فصاح أبى متأثراً : حقا إنك فتاة نبيلة الشعور ، ولم أكن أتوقع منك مثل هـذا الجلد إزاء الكارثة . ثم ضمنى إلى صدره واغرورقت عيناه وهو يردد : سامحينى يا ابنتى سامحينى . . .
قلت — إذا فكرنا يا أبى فى مصائب غيرنا هان علينا مصابنا ، فكر فيما حدث فى روسيا سنة ١٩١٧ ، فكر فى الكوارث التى حلت بسراتها ونبلائها الذين إذا قورنّا بهم لم نزد على أن نكون متسولين ، فكر فى هؤلاء الروس الأشراف الذين رأيناهم فى باريز فى العام الماضى وهم يعملون ، فى صبر وجلد ، كخدم فى فنادقها ومقاهيها . . . أليس مصابنا هيناً يا أبى إذا قورن بمصاب هؤلاء ؟ . . . أطرق أبى قليلا ثم قال : حقا إنكن جديرات بالإعجاب يا فتيات اليوم . . تسخرن بالعواصف ولا تعبأن بالكوارث . . .

« بعد الظهر فى اليوم نفسه — »

كان المتفق عليه أن يحضر على إلى منزلنا فى الساعة السادسة ليصحبنى فى سيارته إلى السينما ، ولكنه بدلا من أن يحضر تحدث فى التليفون معتذراً عن عدم المجىء بالطوارىء . . قلت لأمى وكانت جالسة كعادتها بالمقعد الموضوع بقرب التليفون —

يا للعجب . . . هذه أول مرة يتخلف فيها على عن موعد لى . . .
تنهدت أمى طويلا ثم أجابت : ولسوف يتخلف فى المرات القادمة
إذ لابد أن تكون أمه قد علمت بكارثتنا فنصحته ألا يرافقك
بعد . . . قلت فى دهشة : ولكن هذا التصرف من جانبهما يكون
قبيحاً جداً . . . قالت : ماذا تريدين يا ابنتى ، هكذا خلق الناس
مجردين عن الطيبة . قلت : يا لله . . ما كان أحسن ظنى
بالعالم ، كنت إذا رأيت رجلا شريراً نسبت سبب شره إلى
المجتمع الذى دفع به من اليأس إلى الإجرام أو السرقة . . .
كچان ڤلچان (١) مثلا . . . الذى اضطر إلى سرقة الرغيف كى
لا يهلك أولاد أخته من الجوع . . قالت أمى فى مرارة : ياللك
من فتاة بريئة، الناس يا ابنتى طبعوا على الشر ،و إذا كان الناس
على ما تتصورين من الطيبة ، فما عمل جهنم ؟ . . . تشجعى يا ابنتى
سوف نلقى كثيراً فى الأيام المقبلة من جحود أصحابنا ومعارفنا . . .
ولم نكد ننتهى من هذا الحديث حتى أقبلت جارتنا حكمت هانم
قائلة إنها عجلت بالحضور لتطمئن على بطلان تلك الإشاعة السخيفة
التى تروج حول ماليتنا .. رباه ... ما هذا ؟ .. أيتناقل الناس

---

(١) بطل رواية البؤساء لفكتور هوجو

الأنباء السيئة بمثل هذه السرعة ؟ . . حقاً . . . صدقت يا أماه . إن العالم قبيح بالغٌ في القبح . . . والعجيب في أمر حكمت هانم أني لمحت وميض فرح في عينيها الخبيثتين حينما أبدت أمي لها خبر الكارثة على الرغم من تظاهرها الماكر بالحزن والإشفاق . . يا لضعة الناس ، علام تسر حكمت هانم لهذا ولن يعود خرابنا بفائدة عليها؟

سألت الخبيثة : والبيت يا عزيزتي هل يشمله الضمان أيضاً ؟ فأجابتها أمي في برود : أجل والبيت أيضاً . . . ولكن فيم هذا السؤال يا حكمت هانم ؟ هل تفكرين في شرائه ؟ صاحت المرأة وقد أحست بالغلطة التي ارتكبتها : معاذ الله يا عزيزتي . . كيف أجرؤ على هذا . . . ثم جاء الخادم بالقهوة فشربتها على عجل واستأذنت لتروّج بلا شك بدورها هذه الأنباء «السعيدة» بين أهل الحي . . . آه لو كان معي سم في تلك اللحظة لدسسته لحكمت هانم عن طيب خاطر في القهوة . .

* * *

٢٧ منه — ما زالت الحوادث المؤلمة تترى . . ترى أين كان القدر يخبؤها لنا ؟ دق التليفون صباح اليوم مبكراً في الساعة السابعة منبئاً بوفاة حسين بك على أثر نوبة قلبية ، ولكن أمي لم تخبر أبي

بذلك إلا بعد أن صحا من نومه كعادته حوالى التاسعة و بعد أن تناول طعام الإفطار حتى لا تكون الصدمة قوية ، ومع ذلك كان حزن أبى شديداً حين علم بالخبر ، إن حزنه على وفاة صديقه أضعاف حزنه على ضياع ثروتنا . . حقاً أن مثل هذه الصداقة لجديرة بالإعجاب ، لا شك أن الرجال يمتازون علينا فى هذا المضمار. إذ أين الفتاة التى لا تضحى بأحب صديقة إليها من أجل الظفر بزوج ؟

شيعت جنازة حسين بك . . . لم هذا التسرع فى الدفن ؟ . إن مثل هذا التعجل فى إخراج الميت لا يروقنى . . لم لا نترك أرواح موتانا تتزود قليلا ممن سيخلفونهم فى الحياة الدنيا من أهل وأحباب ؟ .. إذ بعد كم من السنين ؟ بل بعد كم من الحقب سنلتقى بهم ثانية ؟ . . على كل حال أرجو أن يكون هذا العالم الآخر أفضل من هنا و إلا آثرت أن أترك فى قبرى بدون بعث

* * *

٢٨ منه — طبعاً . . لم تحضر رفيعة ولا أخوها اليوم كما كان المتفق عليه لنذهب إلى السيدة «ن» . من أجل حضور «بروفات» المناظر الحية ، والمدهش أنهما لم يعتذرا ، حقاً ! لقد تجردا من

كل ذوق . . ومع ذلك ما كنت أفكر فى الذهاب إلى السيدة « ن » بل كنت مصممة على أن أكلف رفيعة بأن تعتذر لى . . سأكتب الآن كلمة اعتذار للسيدة المذكورة عن عدم اشتراكى كلية فى حفلتها الخيرية إذ لم يعد لى بعد الآن «شرف» الانتماء إلى طبقة بنات الذوات .

* * *

٢٩ منه — ذهبت إلى حىّ السيدة زينب لمشاهدة منزل الوقف الذى أشار إليــه أبى والذى اقترحت الانتقال إليه بعد الكارثة التى حلت بنا ! المنزل يقع على شارع عمومى بالقرب من المسجد ولو أن المدخل من حارة ، وهو مؤلف من طبقتين صغيرتين ، الأولى تشمل قاعة رحبة بجوارها « دورة المياه » ثم السلم الذى يصعد منه إلى الطبقة الثانية ، أما هذه فتضم غرفتين كبيرتين ، والعجيب فى أمر هذا البيت نظام إضاءته ، فالطبقة الأولى ليست لها نوافذ البتة وتستمد نورها الضئيل مما تجود به عليه الطبقة الثانية من نور أو مما يتسرب إليها من ضوء من الخارج كلما فتح الباب العمومى . . أما الطبقة الثانية فبها نافذتان واسعتان . . يسكن هذا المنزل الآن امرأة عجوز وابنها

وهو موظف صغير فى إحدى المصالح ، لم يكن بالمنزل إلا الأم لدى حضورى، وقد رحبت بى ترحيباً حاراً حينما عرفت شخصيتى من (الأوسطى) عبده ، سائق السيارة ، ثم قدمت لى قهوة شربتها على مضض كى لا أجرح شعورها لأن الدار وسكانها على جانب من القذارة لا يشجع أبداً على تناول أى شىء عندهم ، على كل حال لا بأس بالقهوة فقد غلى ماؤها فى النار ، فلا داعى إلى الخوف إذن من الميكروب.. رب كيف يتاح لنا تنظيف هذا المنزل؟ لا شك أننا سنحتاج إلى أطنان من الصابون للقيام بمثل هذه المهمة . . ثم طفت قليلا فى هذا الحى لأكوّن فكرة عنه . . . لا بأس به فقد يعجبنى جوّه الشرقى الصميم ولو أن أسباب الصحة لم تتوافر فيه ، يمكننى حينما نقيم فيه أن أعتبر نفسى — إذا استعنت بشىء من الخيال إحدى أميرات ألف ليلة وليلة ، ولو أنى سأكون أميرة مفلسة . . !

***

٣٠ منه — توجهت بعد ظهر اليوم إلى السينما والواقع لم تكن لى رغبة فى ذلك ولكنى ذهبت كى أثبت لأبوى أننى لست حزينة إلى هذا الحد على الكارثة التى حلت بنا . . . ذهبت مع

الأسف بمفردى فى هذه المرة إذ أين هى الصديقة التى ترغب بعد
الآن فى مصاحبة فتاة مفلسة مثلى فى روحاتها وغدواتها؟ . .
لم تمض دقائق على استقرارى هناك فى مقعدى حتى شاهدت «على»
خطيبى السابق مقبلا ومعه فتاة عرفتها من فورى لبدانة جسمها ،
اعتدال بنت «ص» . باشا .. رباه .. أبين عشية وضحاها يستبدل
المرء خطيبة بأخرى ؟ .. على كل حال لا أغبطه على هذا الاختيار
لأن الفتاة المذكورة تزن ٩٠ كيلو على الأقل ، وعلى كعهدى به
مولع بالفتيات النحيلات .. إذن لابد أن تكون أمه صاحبة هذا
الاختيار : . لأن الباشا المذكور محشو بالنقود بقدر ما حشيت
ابنته شحما ولحماً . . أما على فلم يرنى إلا فى الاستراحة ولما وقع
نظره على احمرّ وجهه احمراراً بيناً أو بالأحرى احمرت أذناه حتى
غدتا وكأنهما إشارتا مرور للسيارات . . حقاً . . لم يكن المسكين
على يتوقع ذهابى إلى السينما فى مثل هذه الأيام . . لا شك أنه
سيقضى ليلة مؤرقة لأن موضوع الرواية كان كبير الشبه بمأساتنا ،
فهى قصة فتاة غنية تشك فى أن خطيبها لا يرغب فيها إلا من
أجل مالها ، فتدعى فقدانها لمالها ، فى بعض المضاربات المالية ،
فيفر عندئذ الخطيب . . ولأنى لا أشك فى أنه ما زال يحبنى

ولو بعض الشيء . . أما أنا فلم أتأثر كثيراً بهذا اللقاء لأن حبي لعلى كما قلت من قبل ، لم يكن يتعدى حد الاستلطاف ، وهذا من حسن حظى لأنى فتاة خيالية فلو كنت أحبه حباً عميقاً لتحوّل قلبي اليوم إلى رماد من جراء هذه المفاجأة . . . ولكن ما لى أخوض فى الحب وشئونه . . لم أعد بعد أهلا لذلك . . ألم أعد أبوى بالمساعدة فى محنتهما الحاضرة ؟ ومع ذلك أليس من المؤلم أن أدفن قلبي ولما تتفتح أكمامه ؟ .

٥ أكتوبر — وجدت أمى هذا الصباح حزينة أكثر منها فى أى يوم مضى لذلك قررت أن أرفه عنها ولو بالقوة . حملتها بعد عناء كبير على الخروج معى والذهاب إلى حديقة الحيوان ، أرادت هى أن تركب السيارة كالعادة ولكنى عارضت فى ذلك قائلة إنه يجب علينا من الآن فصاعداً أن نتعود ركوب الترمواى والسيارات العامة خصوصاً أن الحركة سوف تفيد أمى صحياً ، ركبنا الترام ، وقبل مضى وقت طويل كنا أمام مملكة الحيوان : أول ما بهرنا هناك عند المدخل تلك الببغاوات الأوسترالية ذات الألوان الزاهية المتآلفة على الرغم من شدة اختلاف ألوانها فمن أصفر فاقع إلى أبيض ناصع الخ . . . حقاً أننى أتحدى

أساتذة فن التصوير الحديث فى مزج هذه الألوان المتباينة هكذا بعضها فى بعض . لا شك أيضاً فى أن منظر هذه الببغاوات يكون أشد روعة وهى فى غابات الموطن تنتقل فوق الأشجار العجيبة . قصدنا بعـد ذلك قفص الأسود ، فشجتنا رؤية سيد الغاب ذى اللبدة الملكية البديعة وهو يروح ويغدو فى ذل الأسر ، تفرجنا بعد ذلك على ملك آخر سجين ألا وهو النسر ملك الجو كما يقولون . . شاهدنا عدة أنواع من النسور : النسر الأمريكى ، النسر الأسيوى ، النسر المصرى، النسر السودانى. إنها كلها قبيحة المنظر والعياذ بالله . رب ! كيف يلقبون ملكا طائراً دميماً مثل هذا ؟ أليس الطاووس مثلاً أحق بمثل هذا اللقب، إذ أن الملك يجب أن يكون فى رأيى جميلا كى يستولى على قلوب رعيته ؟ ثم مررنا على مكان الحيات ، ولكن أمى رفضت أن تتفرج عليها صائحة: علام نضيع هنا وقتنا سدى؟ أليس لدينا فى الزمالك حية تفوق هذه الحيات كلها أذى وخبثاً ألا وهى حكمت هانم ! ثم تفرجنا على الخنزير البرى فعجبت من أن يكون مخلوق فى الوجود على مثل هذه الصورة القبيحة . و إذا كانت ديانة تناسخ الأرواح

هى ديانة الحق فإنى أدعو الله أن يبعث روح جارتنا حكمت هانم فى جسم هذا الحيوان الدميم .

ثم رأينا فى الجهة المعدة للذئاب والثعالب نوعاً من الثعلب الصغير جداً اسمه الفنك . حقاً أنه حيوان لطيف يستطيع المرء نظراً لضآلة حجمه أن يطويه فى جيبه . والعجيب فى أمر هذا الفنك أنهم ذكروا عنه أنه من أكلة اللحوم . ترى ما يكون الحيوان الذى يستطيع أن يفتك به فنكنا الصغير ؟

. قصدنا بعد ذلك مملكة القرود وهى أكثر الحيوانات تسلية بالحديقة لأنها أقربها شبهاً بنا ، إننى كلما نظرت إلى عينى القرد أو يديه شعرت برعشة بل بعذلة من أجل ذلك الشبه العجيب ، هنا عند القرود رأيت الابتسامة تعود إلى ثغر أمى بعد ما كانت قد اختفت عنه فى الأيام الأخيرة . إذ أن المناظر التى شاهدناها لدى القرود مسلية للغاية . رأينا قرداً صغيراً اتخذ ظهر أمه مطية فصعدت به الأم الصخور فى سرعة عجيبة مما جعل الابن يصرخ ويولول كالأطفال تماماً خوفاً من أن يقع من فوق ظهرها . ثم وجدنا فى مكان آخر قرداً شرع ينقى أخاه من البراغيث التى كان يبتلعها فى لذة كلما عثر على واحد

منها وكأنها حبات من الفول السودانى الشهى . لاحظنا فى مكانٍ ثالث قردين يطارد أحدهما الآخر فكانا يقفزان فوق الأغصان ويتأرجحان عليها فى مهارة عجيبة قلّ أن يأتى بمثلها « فيسمولر » طرزان هليوود العظيم . ثم شاهدنا فى ركن ما من الحديقة طائراً أسود رشيقاً يدعى الرهو اليابانى والعجيب فى أمر هذا الطائر أنه ظل طول الوقت واقفاً على ساق واحدة دون أن يأتى بحركة كأنه دمية لا جسم حى .

ولما رأيت التعب بادياً على وجه أمى ، التعب الجسمى لا الروحى ، ولله الحمد ! قفلنا راجعتين .

قبلتنى أمى بحرارة فى تلك الليلة شاكرة لى هذه النزهة التى روحت عنها كثيراً داعية لى بأطيب الدعوات . وأظن أن السماء كانت مفتحة الأبواب فى تلك اللحظة التى دعت لى أمى فيها لأنى نمت هذه الليلة نومة هادئة لذيذة على الرغم من المصائب التى كانت تحيط بنا .

١٠ أكتوبر — ما زال الناس يتحدثون عن الكارثة التى حلت بنا . فاذا جاءوا لزيارتنا كان غرضهم فى الغالب التشفى ! لذلك أضربنا عن استقبالهم . . كذلك صديقتى علية أمرها عجيب ...

حضرت مرة مستفهمة فلما أبدت لها النبأ لم تنفجر باكية كما كنت أتوقع منها بل قالت : حقاً أننى آسفة لك يا عزيزتى ، كأن ما حدث لى لم يكن إلا خسارة قفاز أو ضياع حقيبة يد .. ثم استأذنت بعد دقائق وانصرفت متعللة بكثرة مشاغلها ، ياللدنيا . . . إن تلك الفتاة كانت إذا حضرت عندنا قبل اليوم لا تنصرف إلا بعد أن تقضى الساعات الطويلة . . . كما حدث مثل ذلك عند ما كانت ترجونى كى أتوسط لها فى الصلح مع صديق لها يدعى صالح مل صحبتها .

تسليتى الآن إصلاح بيت الوقف وتنظيمه إذ أرجو أن يكون معداً فى نهاية الشهر لأننا مللنا المقام هنا وسط قوم على هذا القدر من سوء النية ونكران الجميل . . . ولو أنه سيؤلمنى مغادرة بيتنا الحالى من أجل ذكريات الطفولة التى أخلفها فيه ، ولسوف أبتعد عن غرفة نومى التى أحبها كأنها عضو من أسرتنا . . . أتحدث إليها حينما أشعر بالوحدة أو أغنى لها فى أوقات السرور ... وأشعر بوحشة أيضاً لفراق الحوريات المصورة على جوانبها وطالما أنست بهـا فى أيام المرض فتخيلتها تارة تبسم لى وطوراً ترقص أمامى . .

٢٥ أكتوبر — كنت أتصفح إحدى المجلات الأسبوعية المصورة بعد ما فرغنا من تناول الغداء فاذا نظرى يقع بها على برنامج للحفلة الساهرة التى أقامتها السيدة «ن» بقصرها مساعدة لإحدى الجمعيات الخيرية والتى كنت سأشترك فيها . . رأيت صور المناظر التى قدمت للجمهور فى تلك الليلة و بينها المنظر الفرعونى الذى كنت سأظهر فيه كوصيفة للملكة « تايا » وقد حلت محلى فيه اعتدال خطيبة على البدينة ! بالله ما أعجب أمر هذه الفتاة التى تريد أن تستولى على تركتى برمتها . لقد كان منظرها مضحكا وهى تنحنى للأرض تحية للملكة وقد ناءت المسكينة تحت عبء التسعين كيلو التى تزنها ، كذلك الجمهور لا بد أنه قد عجب من أمر تلك الوصيفة الفرعونية البدينة ، لأن المصريين القدماء اشتهروا برشاقة أجسامهم ، أنظر إلى الصور التى حلوا بها قبورهم ومعابدهم تجدها كلها تمثلهم ... فى أجسام رشيقة . . كذلك على ظهر فى دور الوصيف وهو يحمل شاربه القصير البغيض . ذلك الشارب الذى استطعت أن أحمله على إزالته يوم حفلة (رفيعة) . . رب ما هذا المسخ الفنى ، من شاهد أبداً وصيفاً من عهد الفراعنة يحمل شارباً . بل شارباً

سوى على طريقة « كلارك جبيل » ! ولكن ترى لماذا قد أعاد علىّ شار به الصغير ، هل هذه رغبة الخطيبة الجديدة ؟

على كل حال أصبحت أرى بعد ما تحررت من تأثير ذلك الوسط أن مثل هذه الحفلات لا يأتى بالفائدة المنشودة لأن معظم الإيراد يذهب مصاريف .. لا يتبقى منها فى الحقيقة غير التسلية التى تنعم بها تلك الطبقات الراقية ...

٢ نوفمبر — اليوم شرعت فى جمع ملابسى من (الدواليب) فهالنى عدد الفساتين والأحذية التى أمتلكها ، هل من الإنصاف أن يمتلك فرد واحد من أفراد الشعب مثل هذا القدر من الملابس بينما يسير الكثيرون بل الآلاف المؤلفة عراة فى الشوارع ؟ أردت أن أوزع كل ما أمتلك منها على الخدم ، ولكن أمى أقنعتنى بوجوب الاحتفاظ بجزء منها صائحة : بالعكس يا حبيبتى الاحتفاظ بها الآن ضرورى أكثر من أى وقت مضى ، لأنك سوف لا تستطيعين فى المستقبل تفصيل كل ما ترغبين . أما ملابس السهرة فهى التى هممت حقاً بتوزيعها كلها بل بإحراقها كراهية للمجتمع الذى كنت أرتديها فيه ، ولكن هنا أيضاً أشارت علىّ أمى بالاحتفاظ باثنين أو ثلاثة منها على الأقل من

باب الاحتياط ، وقد حصلت نفيسة خادمتى الخاصة على القسم الأكبر من هذه الملابس لأنها على وشك الزواج من شاب ميكانيكى. أعطيتها أيضاً كل ما عندى من أدوات زينة الوجه : معاجين ، بودرة أحمر الخ . لأنى سوف لا أحتاج بعد لهذه السفاسف فى العالم الجديد الذى أنا مقبلة عليه . ولكنى أخطأت كثيراً فى إعطائى نفيسه هذه الأشياء إذ جاءت فى المساء ووجهها ملطخ بها وكأنها مهرجة فى سيرك ، ضحكت عليها ضحكا متواصلا حينما شاهدتها على هذه الحال ، فحزنت الفتاة من أجل ذلك قائلة : ألأنى فقيرة لا يحق لى أن أتجمل ؟ قلت وأنا أربت على كتفها : معاذ الله أن أفكر فى مثل هذا يا عزيزتى نفيسة ، إنما الأمر أنك أسرفت فى زينتك . فأجابت الفتاة فى زهو : ولكنى هكذا أعجبت إبراهيم — وهو خطيبها — قلت : حينئذ ابقيها لأن المطلوب إعجابه هو لا إعجابى أنا .

شرعت فى جمع كتبى أيضاً فأنا ضنينة بمكتبتى التى تضم مجموعة لا بأس بها من الكتب القيمة ، إنى أحب الكتب بل أحب المطالعة . لست ممن يقتنون الكتب لمجرد الزينة . ولما كان أهلى وأصحابى يعلمون بهذا الميل كانت أكثر هداياهم إلىّ

فى مناسبات الإهداء كتباً : عندى من الكتب القيمة مؤلفات جيد ، پروست ، فرويد ، فرانس الخ . وبينما كنت أقلب فى هذه المجلدات عثرت على مجموعة من التذكارات لرحلتنا إلى باريز فى العام الماضى ، وهى برامج وتذاكر للمسارح والملاهى التى غشيناها إذ ذاك . لله در باريز من مدينة ساحرة ما أروع مسارحها ! وبخاصة الكوميدى فرنسيز حيث تمثل الروايات الكلاسيكية تمثيلا يفوق كل وصف من حيث الدقة والإتقان ، وقد برع القوم بوجه خاص فى فن الإلقاء الذى يحبب إلى الغريب حتى إذا لم يكن متضلعاً من اللغة الفرنسية ، هذه اللغة الرقيقة ، كذلك أذكر مسرح الفولى برجير الشهير حيث شاهدنا أعظم الاستعراضات نفقة وتنسيقاً . وإنى لأعجب كيف تسنى لهم جمع مثل هذا العدد من الراقصات اللاتى يجتمع لديهن إجادة الرقص إلى نضارة الوجه ورشاقة الجسم ، وليس جمال باريز مقصوراً على مسارحها ، بل هناك متاحفها الثمينة : كمتحف اللوفر حيث يستعرض الزائر تاريخ فرنسا المجيد . ثم هناك قصر ڤرساى الضخم وهو فى ضواحى باريز ، وكان مقراً لأكثر ملوك العالم بذخاً وترفاً .

ولباريز شوارع وميادين رائعة ، وبخاصة ميدان الكونكورد الذى يقال إنه أفسح ميدان فى العالم ، وبه دمى تمثل كبريات مدن فرنسا ، وقد نصبت به مسلتنا المصرية المحبوبة . والكونكورد نجم فى الليل ، إذ هو مشكاة كبيرة لكثرة ما يتلألأ فيه من المصابيح . ولقد شهد هذا الميدان الجميل أياماً مروعة فى أثناء الثورة الفرنسية ، فقد قطع به رأس الملك البائس لويس السادس عشر ، كذلك طوح فيه الثوار برأسى الملكة مارى أنطونيت والكونتس دى بارى[١] الجميلتين .

ترى هل سيتيسر لى بعد الكارثة التى حلت بنا ، مشاهدة باريز مرة أخرى ؟ أما هذه الوريقات التى تحمل فى ثناياها عطر باريز ، فلسوف أحتفظ بها كى تذكرنى بفترة سعيدة من العمر مرت وتلاشت فى طيات الدهر .

٤ نوفمبر — اليوم أقيم بمنزلنا ، بناء على رأيى أنا وعلى الرغم من معارضة أبوى ، مزاد علنى للأثاث لحسابنا الخاص ، لأن أبى استطاع أن يخرجه من الحجز بعد أن أثبت للدائنين ملكيته لأمى ، أشرت بإقامته بعد أن رأيت فى السنين الأخيرة شدة إقبال أعياننا

---

(١) حظية لويس الخامس عشر

على مثل هذه المزادات ، كأنهم اتخذوها أندية اجتماعية . .
جاء البيع ولله الحمد بمال وافر كنا فى أشد الحاجة إليه من أجل إصلاح بيت حىّ السيدة زينب وتأثيثه الأثاث البسيط المناسب . أشرفت بنفسى على البيع فكنت إذا وجدت قطعة سيرسو عليها المزاد بالثمن البخس أرسلت من ينافس لتزيد قيمتها .

لم تحضر واحدة من صديقاتى المزاد ، هذا ولا شك من باب المجاملة ، ولو أنى وددت اشتراكهن فيه لرفع الأثمان ، كذلك عجبت لعدم حضور جارتنا حكمت هانم ، إذ كان فى وسعها أن تصول وتجول فى مثل هذا اليوم ، ومن يدرى ؟ ربما كان لها مندوب أو بالأحرى جاسوس بين الحاضرين يوافيها بالتقارير بعد انتهاء الجلسة . . أو ربما راقبت هى الأمور من نافذتها بمنظار كبير .

ولكن اعتدال خطيبة (على) البدينة كانت بين الحاضرات ، ترى هل جاءت تشفياً بى أم نكاية فى على ؟ لاحظت أن التحف كانت أكثر الأشياء حظاً فى الإقبال عليها .

* * *

٦ نوفمبر — اليوم حينما غادرنا منزل الزمالك منتقلين إلى

حيّ السيدة زينب ذرفنا دموعاً مرة كالتى ذرفها عبد الله ملك غرناطة لدى خروجه للمرة الأخيرة من قصره «الحمراء» ... كيف لا نحزن وقد خلّفنا وراءنا كنزاً من الذكريات ؟ . . . ومما زاد فى ألمى أنى لم أجد السماء تشاركنا حزننا كما كنت أتوقع . . . . فلم تكن ثم عواصف ولا أنواء ، بالعكس كان الجو صافياً ، والهواء عايلا كما هى الحال عادة فى أيام الخريف اللذيذة . . . . إذن ما أكذب هؤلاء الكتاب الذين يدعون فى رواياتهم ، مشاركة الطبيعة لأبطالهم المنكوبين أحزانهم ، فيقولون مثلا يوم توفى فلان بطل القصة الشهيد : إن السماء كانت مابدة بالغيوم ، والعواصف تعصف الخ . . . .

***

١٠ نوفمبر — إننا نقطن حىّ السيدة منذ بضعة أيام ، نقيم فيه منعزلين عن الناس ، كأننا فى جزيرة وسط محيط ، إذ أن جيراننا كلهم من الطبقة الدنيا التى لا يمكن مع الأسف إنشاء علاقات تعارف وإياها ، وليس هذا ترفعاً منا ، وهل يحق لنا أن نتعاظم بعد ما حلّ بنا ؟ بل لأن هذه الطبقة فى مصر على جانب كبير من الانحطاط من أثر الفاقة والجهل اللذين تتخبط فيهما من

زمان طويل ، وعلى كل فليس لهم ذنب فى ذلك . . . إنما الذنب على حكامهم الذين لم يفكروا فى رفع مستواهم . . . أسوق على سبيل المثل ما كان بينى وبين عائشة زوجة «ع» . . أحد تجار التوابل حين قدمت إلينا لتبارك مقدمنا بالحىّ . . . علمت منها أثناء الحديث أنها تنام هى وزوجها وأولادها الخمسة فى غرفة واحدة . فلما أظهرت لها تعجبى لهذا الأمر ، واعترضت عليه لمنافاته للعرف وللصحة دهشت لاندهاشى ولم تقتنع بطبيعة الحال باعتراضاتى ، بل ربما استجنّتنى فى أعماق نفسها . فلما سألتها إذا كانت هناك غرفة أخرى يصح أن تنام هى فيها أو ينتقل إليها زوجها صاحت مذعورة : أجل هناك غرفة أخرى ، ولكن معاذ الله أن ينام أحد منا فيها فهى مأهولة بالجن . . . كذلك عرفت فتاة تدعى نفيسة وهى تقربنى سناً ، جاءت لى بالأمس تشكو من التهاب فى ساقها قائلة إنه ربما كان عندى دهان يشفيها . . . ولما فحصت الساق وجدت بها جرحاً عميقاً يعلوه الصديد ، وقد عصبته الفتاة بخرقة أقذر من الجرح نفسه ، ثم شاهدت مع العجب دهاناً أخضر اللون موضوعاً على الجرح ، فلما سألتها عن مصدره قالت: إنه من عند الحاجة ف.. ثرت عندئذ

إزاء هذا الجهل الفاضح ، ثم جذبت الفتاة عنوة من يدها وذهبت بها إلى أول عيادة صادفتنا فى الحى حيث فحصها الطبيب وهو متعجب لهـذا الإهمال الذى كاد يودى بساق الفتـاة التعسة . . . حقاً . . . ما أتعس هؤلاء القوم . . . إنى لأرثى لهم من أعماق قلبى . كم وددت مساعدتهم ، ولكنى أينما توجهت اصطدمت بحائط ضخم كأهرام الجيزة ، شيده الجهل والفاقة . . والخرافات . .

***

٢٠ منه — وجدت عملا فى شركة من شركات التصدير الأجنبية ، ولو أنها تعتبر فى عرف القانون مصرية . . . حقاً . . . يا لهـا من شركة مصرية عجيبة موظفوها المصريون . . . أنا والسعاة ! ساعدتنى فى الحصول على هذه الوظيفة صديقة فرنسية تدعى لوسين من زميلاتى فى « المردى ديو » إذ أبوها من كبار مساهمى الشركة المذكورة ، أما زملائى فى العمل فكلهم من الأجانب المتمصرين المعروفين فى أوربا باللاونديين ، وهؤلاء يتكلمون فرنسية عجيبة ذات اصطلاحات عربية مما أدى بفرنسى ظريف إلى تسميتها بحق « فرانكو — آراب » ... والعجيب

فى أمر هؤلاء أنهم يفخرون فى الخارج بالانتساب إلى الجنسية المصرية فيقولون إنهم مصريون صميمون ، بل يزعمون أنهم من سلالة الفراعنة . . . فإذا عادوا إلى مصر انقلبوا « خواجات » يرطنون بالفرنسية والإنجليزية . . .

***

ألحقت فى الشركة بمكتب المراسلات ، ومرتبى سبعة جنيهات وهو مرتب ضئيل ولا شك ، لا سيما أن شغلى كثير فأنا أعمل صباح مساء ، ولكنه خير من لا شيء ، على أننى أجد فى هذا العمل تسلية لنفسى القلقة المضطربة ... وأتعلم فى أوقات الفراغ الكتابة على الآلة الكاتبة إذ أن عملى يقتضينى معرفتها ، أما أبواى ، فقد يلوح لى أنهما تعودا الوضع الراهن لحالنا ، فقد رجع أبى إلى عادته القديمة فى قضاء وقته بقهوته القديمة مع أصحابه ، كما أنه استرد هدوءه ولو أن وجهه شحب شحوباً بيناً فى المدة الأخيرة . . . وأمى لا تزال محتفظة بعادتها من حيث القعود طول الوقت على المقعد الجلدى الوثير ، وكنا احتفظنا به من أجلها ، وقد وضعته فى المنزل الجديد بالقرب من النافذة التى تطل على الشارع لتشاهد أهل الحى فى روحاتهم وغدواتهم . . . وقد استبدلت

بقراءة الصحف والمجلات التطريز ، تقضى أكثر الوقت فى تهيئة ستر وصدارى لنا من الصوف ، قد نحتاج إليها حينما يبرز الشتاء فى مصر ، فى غضون الشهر القادم . . . حقاً . . . أننى أشكر الله من أعماق قلبى لأنه أخرج أبوى المحبو بين سليمين من هذه المأساة ، كما أعاد إلى نفسيهما بعض الهدوء والطمأنينة .

أما زملائى فى العمل ، من ذكور وإناث ، فعلاقتى بهم لا تتعدى المجاملات العادية . . . يوجد بين هؤلاء شاب يرى أنه شريك نجوم السينما فى الحسن والرشاقة ، ذلك لأن فتاة ادعت مرة أن هناك شبهاً كبيراً بينه وبين النجم الفرنسى الشهير شارل بو ييه ، لا شك أن الفتاة قالت له ذلك على سبيل المزاح ، لأنه ليس هناك شبه مطلقاً بينهما ، بل إن صاحبنا أقرب فى الشبه إلى حاخامية أوربا الوسطى بأنفه الأقنى الضخم . . . أراد هذا الشاب بالأمس مغازلتى ، فلما صدمته وألزمته حدوده أخذ يقول عنى المصرية متكبرة . . . . « والمصرية » هو الاسم الذى يطلقونه على

* * *

٢١ منه — حقاً . . . أجد سلوى كبيرة فى كتابة هذه

السطور فأنا أستطيع أن أتكلم فيها بحرية ومن غير مقاطعة أو مضايقة ، يمكنني عرض عواطفي فيها ، ثم تقليبها ، ثم فحصها دون أن يطلع أحد عليها . . . لو كانت لى ثمة صديقة حميمة لكان الأمر غير ذلك ، كنت عرضت عليها شئونى ، ولكن ليس لى مع الأسف صديقات . . . كنت أعز فيما مضى علية ومع ذلك لم أطلعها على دخيلة نفسى ، إذ كلما شرعت فى ذلك وجدت من نفسى تردداً لم أدر له سبباً ، ومع ذلك ما كان أصدق هذا الإحساس ! إذ ها هى ذى علية تخلفت عنى حينما حل بنا الإفلاس . . . أما فى المدرسة فقد وددت اتخاذ المرحومة أمينة كاتمة سرلى ، ولكن هذا لم يتيسر لأن أمينة كانت موضع حب الجميع فى المدرسة ، تتخاطفها المدرسات والطالبات من كل صوب كأنها قطعة من الكاستناء المسكرة « مارون جلاسيه » . . وكانت لى صديقة أخرى تدعى مارسيل من فرنجة الشرق لم يكن فى استطاعتى اتخاذها كاتمة أسرار لأنها تصغرنى كثيراً فى السن بل كنت أنا كاتمة أسرارها .

أحبتنى مارسيل حباً كبيراً كأنها رأت فىّ أمًّا ثانية لها وقد فقدت أمها وهى فى سن الطفولة ، يا لسذاجة أسرارها ! . . . .

كانت هذه الأسرار تدفعنى أحياناً إلى الضحك من مارسيل ضحكا متواصلا عالياً تغضب له الفتاة وتثور ، ولكنى كنت أمحو هذا الغضب بقبلة واحدة ، وكيف لا أضحك وقد أتت إلى مرة تقول إنها تشاجرت مع تلميذة أخرى تدعى (اليان) لأنها وجدت فى درج (اليان) صورة النجم السينمائى فرانشتون مع علمها بأن هذا النجم هو حبيب مارسيل وفتى أحلامها .

٭ ٭ ٭

٢٣ منه — لدى عودتى اليوم فى الظهر إلى المنزل ، لتناول طعام الغداء وجدت أمى تتحدث إلى علية التى لم أشاهدها من مدة ، فلما رأتنى هرعت إلى ثم ضمتنى إلى صدرها قائلة إن الذى دفعها إلى الحضور شدة حبها واشتياقها إلى ، أما أنا ورأيى أن الذى دفعها إلى الحضور رغبتها فى مشاهدة مسكننا كى تجد لدى عودتها إلى الزمالك موضوعاً جديداً نتكلم فيه مع أصحابها وأصحابنا السابقين هناك . . . ولكن من حسن الحظ أن بيت الوقف أعجبها لأننا استطعنا لصغر حجمه تنسيقه تنسيقاً جميلا من غير نفقات كبيرة متبعين الطراز العربى كى يناسب الجو الشرقى الذى يحيط به ، غير أنه طراز عربى مستحدث لأن

الطراز العربى الخالص يقبض الصدر كما أنه يحجب الضوء . أما الطراز العربى المستحدث فنقيض ذلك . . تناولت علية معنا طعام الغداء و بعد ما انتهينا منه حضرت إلى غرفتى حيث أخبرتنى بأن (على) قد خطب الفتاة البدينة المثرية التى شاهدتها معه فى السينما ؛ ثم أضافت إنه متضايق جداً من هذه الخطبة التى فرضتها أمه عليه فرضاً لأنه لا يميل أبداً للفتاة المذكورة ، بل هى موضع سخريته بين أصحابه لأن الفتاة المسكينة مدلهة بحبه . . . يقول إنه كلما تناول الطعام لدى أبيها أخذت الفتاة تلتهمه بنظراتها أثناء الأكل كما جعلت تضغط على قدمه بقدمها الغليظة ، فاذا برحوا المائدة جذبته من يده إلى الحديقة حيث تشرع فى تقبيله فى شره ونهم . . . ولكنى لا أقر (على) على تجريحه للفتاة المسكينة التى لا ذنب لها إلا أنها أحبته . . . ولكن علام يغضب علىّ ؟ إنه يطلب المال فعليه إذن أن يضحى فى سبيله . وقد صحبتنى علية فى سيارتها ذات المقعدين إلى محل عملى وكانت تجهل أمر توظفى فلما علمت به أثنت على كما أشادت بشجاعتى الأدبية . . . ترى هل هى مخلصة فى هذا الثناء . . . ؟ . . .

***

٢٥ منه — كان الركوب فى السيارات الخاصة فى الماضى يحرمنى مشاهدة الحوادث المسلية التى تحدث كل يوم فى السيارات العامة أوفى الترام .وقد أرتنى هذه الحوادث ، على الرغم من فكاهتها ، الناس بمنظار قاتم ، إذ بينما هم يبالغون فى التمسك بحقوقهم تجـدهم يتجاهلون واجباتهم ، شاهدت مثلا اليوم لدى عودتى بعد الظهر إلى عملى الحادث الآتى ، الذى أخرنى كما أخر سائر الركاب برهة من الزمن . كانت السيارة ملأى بالركاب لا سيما فى الدرجة الثانية ولكن مع هذا صعد راكب وجد مكاناً عندنا فى الدرجة الأولى فلما طالبه العامل بالأجر أبى أن يدفع إلا قرشاً واحداً وهو أجر الدرجة الثانية معتذراً بعدم وجود مكان خال يجلس فيه هنالك فى الدرجة الثانية ، وحاول العامل أن يقنعه بدفع القرشين ولـكن من غير جدوى ، عندئذ خيره بين الدفع أو النزول ، ولكن صاحبنا أبى هذا وذاك بل أضاف على الرفض قوله للعامل إنه وقح وقليل الأدب . . . ثم رد العامل التحية بأحسن منهـا وكادا يشتبكان بالأيدى لولا تدخل الركاب الذين عيل صبرهم وكان السائق قد توقف فى هذه الأثناء عن المسير . . .

كذلك أرى أحياناً ركاباً يعرضون على العامل أوراقاً مالية من فئة الجنيه من أجل تذكرة قيمتها قرش أو قرشان . . . فإذا اعتذر الرجل نزلوا من السيارة بعد أن يستنزلوا اللعنة على رأس العامل بعد أن يكونوا ضيعوا وقت الركاب المساكين

٢٦ نوفمبر — وجدت اليوم عند الظهر لدى انصرافى من المكتب خطيبى السابق (على) واقفاً ينتظرنى بعد ماركن سيارته بالقرب من الرصيف قال وهو يحيينى تحية حارة رددتها له أنا فى شىء من البرود : هل تأذنين لى فى أن أوصلك حيث تذهبين ؟ قلت متهكمة : وهل جئت خصيصاً لهذا الغرض ؟ قال متلعثما : كلا كنت أريد أن أتحدث إليك قليلا . قلت : إذن هات ما عندك ، أما بخصوص توصيلى فاننى أفضل ركوب سيارتى على سيارتك ، شرع على عندئذ يحملق يمنة ويسرة باحثاً عن سيارتى تلك بدون جدوى فقلت ضاحكة : أسأت الفهم يا صديقى . أقصد السيارة العامة « الأتوبوس » إنى سائرة على قدمى إلى الموقف الذى لا يبعد كثيراً من هنا فاذا كان لك كلام معى فيمكنك أن ترافقنى حتى نبلغه ولنتحدث أثناء السير . ولكن (على) سار بجنبى خطوات وهو لا ينطق بكلمة . عندئذ

سألته : مالى أراك صامتاً ؟ قال معاتباً : ما هذه المعاملة القاسية يا سميحة ! هل نسيت حبنا القديم ؟ قلت فى سخرية : حبنا القديم ؟ ربما كنت أنت تحب يا صديقى . أما أنا فلا . الله يشهد أن عاطفتى نحوك لم تتعد يوما حد الاستلطاف . ولو كنت أغرمت بك لقضى على يوم تخليت عنى بلا سابق عذر أو إنذار. صاح على : أقسم لك يا سميحة بأنى لم أتخل عنك عن طيب خاطر ، بل هى أمى التى ضغطت على . . . قلت : هذا عذر أقبح من ذنب ، إذ معنى كلامك أنك معدوم الإرادة . قال : ثقى يا سميحة إننى لو كنت أتممت دراستى واشتغلت وكنت فى حالة تمكننى من الاستغناء عن مال أمى لما ترددت لحظة فى الاقتران بك. قلت متهكمة : يا للخسارة ! لقد حرمت شرفا عظيما . صاح : كفانى تهكما يا سميحة ، والآن هلا عفوت عما مضى ؟ قلت : عفوت. والآن هل لك طلب آخر؟ قال: أجل، أن نكون صديقين. قلت متهكمة : وهل تظن أن خطيبتك الجديدة اعتدال تبارك مثل هذه الصداقة ؟ قال : سوف لا تعلم بها ، إذ سوف نتقابل يا عزيزتى فى مكان بعيد عن أعين الناس . قلت بعد أن أطرقت برأسى قليلا : فهمت قصدك ، الآن وقد حصلت على الزوجة

الغنية تبحث عن الخليلة ، كأنى بك تقول فيما بينك و بين نفسك : ولكن لم أرهق نفسى فى البحث عن تلك الخليلة بعيداً وهذه سميحة أمامى وقد أصبحت سهلة المنال بعد الذى قد حل بها من فقر . لا يا صاحبى إننى لا آكل من هذا الخبز . احمر وجه على خجلا لدى سماعه هذا القول منى إذ لاشك فى أنى قد أصبته فى الصميم ثم أجاب متلعثما : كلا يا سميحة كلا ما قصدت هذا أبداً. وكنا قد بلغنا موقف السيارات فصعدت فى الأتوبوس بعد أن النفت إليه قائلة : أرجو ألا تتحمل مشقة انتظارى مرة أخرى يا صاحبى ، طاب يومك .

***

٢٧ منه — اليوم لدى عودتى إلى المنزل ، حوالى الساعة الواحدة فى السيارة العامة ، كانت المقاعد كلها مشغولة فى الدرجة الأولى ، عندئذ تنحى لى شاب عن مقعده ، فأعجبنى عمله لأنه تنحى فى أدب إذ أن كثيراً من الشبان الذين كانوا يتنحون لى كانوا يتخذون ذلك سبباً للغزل والمعاكسة ، كما أن هذا الشاب لم يحاول أن ينظر إلى أثناء وقوفه فى الممر ، بل أنا التى كنت أختلس إليه النظرات وقد راعنى حسنه . . . . وكانت

ملامح وجهه جميلة وسمرته لطيفة ... ولكن فيم اهتمامك بالشاب يا سميحة ؟ . . . هل يا ترى تجدينه ظريفاً . . . ولم لا ؟ ... إنه شاب وسيم على كل حال . .. قولى إنك وددت لو نظر إليك . كى تعرفى لون عينيه . . . .. ترى أى الألوان أوفق لعينى ذلك الشاب ذى البشرة السمراء ؟ ... الخضرة ... أليس كذلك ؟.. ولكنه نزل مع الأسف دون أن تتحقق من لون عينيه ....

* * *

٢٩ منه — اليوم بدأنا نشعر بقدوم الشتاء ، والعجيب فى أمره أنه يأتى فى مصر مفاجئاً بغير سابق إنذار كالصيف إذ ليس عندنا مع الأسف ربيع أو خريف . . . أو إذا كان هناك شىء من هذا فعمره قصير .... حقاً .... أننى أشعر بالبرودة وها هى ذى أسنانى تصطك .... والسماء أيضاً قد تغيرت فاحتجب أ ونا « رع » عن الأنظار كما تجمعت الغيوم الكثيفة التى تنذر بالمطر . . . كنت أحب فى الماضى هطول الأمطار لأنى كنت أجد لذة فى مشاهدة قطراتها وهى تتأرجح على زجاج النافذة ... أما الآن فانى أخشاها لأن الطرق فى حيّنا الجديد ليست نظيفة مع الأسف كما أن معظمها غير مرصوف .... بل هى تتحول فى

الأيام الممطرة إلى برك ومستنقعات والعياذ بالله . . إننى أشعر بالكآبة اليوم . ترى هل هذا من تأثير الجو الملبد المظلم ، أم لأننى لم ألتق مرة أخرى بذلك الفتى الوسيم ، الذى لم أتحقق من لون عينيه ؟

٣٠ نوفمبر — اليوم يوم عطلة لى ، لذلك رأيت أن أحمل أمى على الخروج لأرفه عنها قليلا ولأغير من نظام حياتها اليومى الممل ، وهو قضاؤها الساعات الطويلة على المقعد الجلدى منهمكة فى التطريز . مسكينة أمى كانت دائماً وحيدة . حتى فى الزمالك لم تكن لها صديقات بمعنى الكلمة بل بضع معارف من الجارات ، وبخاصة حكمت هانم التى كانت أكثرهن تردداً عليها . ولكن حكمت هانم هذه قد منعناها من دخول بيتنا الجديد بعد مسلكها الشائن معنا أثناء المحنة . . . هناك أيضاً غير هؤلاء بضع نسوة من المحاسيب كن وما زلن يترددن عليها من وقت لآخر لأن أمى الطيبة ما زالت تغدق عليهن إحسانها رغم العسر التى هى فيه الآن . أما أبى فهو أكثرنا حظاً من حيث مسلك أصدقائه معه لأن هؤلاء لم يتنكر له واحد منهم أثناء المحنة بل أكبروا عمله كما أرادوا مساعدته بدورهم ولكنه اعتذر لهم مع الشكر والتقدير .

قالت لى أمى وقد بلغنا الشارع : ولكن إلى أين تريدين الذهاب بى ؟ قلت : هيا بنا نجول فى حيّنا الجديد إذ أن الجو اليوم بديع يا أماه والشمس أبدع تملأ الفضاء حياة وغبطة . قالت أمى : ولكن الطرق هنا قذرة أيتها الأديبة المحبوبة لا يطيب التجوال فيها . ثم أطرقت قليلا ثم عادت فقالت : عندى فكرة . هيا بنا نزور ضريح السيدة زينب . صحت : وأنا لا مانع عندى من ذلك إذ أنى لم أزره من أمد بعيد . منذ حداثتى . حينما أخذتنى هناك داده مبروكه رحمة الله عليها ، عساها تشفينى من تلك الحرارة التى لازمتنى طويلا فى ذلك الوقت وقد حار فيها الأطباء . صاحت أمى وقد ظنتنى أذكر ذلك الحادث على سبيل السخرية : وقد شفيت فعلا يا حبيبتى بعد تلك الزيارة المباركة بأيام قليلة !

دخلنا المسجد فاذا به غاص بالناس . ولكن معظمهم من الطبقة الدنيا . لم أجد إلا القليل من طبقتنا مع الأسف . قلت : حقاً أن هذه الطبقة لأكثر منا تعلقاً بالدين ولو أنه يؤلمنى فيها قذارتها . قالت أمى : الفقر هو يا ابنتى السبب فى ذلك . قلت : كلا يا أماه . هل تذكرين ما قاله أبى لنا عن رحلته فى تركيا

حينما عطلت العربة التى كان يستقلها مع بعض أصـــدقائه للنزهة فى ضواحى استنبول ، فرجاهم السـائق أن يستريحوا قليلا فى بيته وكان قريباً من المكان الذى عطلت به العربة فخشى أبى وأصدقاؤه دخول البيت ظناً منهم أنه سوف لا يكون نظيفاً وهو بيت رجل من هذه الطبقة ، ولما دخلوه بعد إلحاح من السائق وجدوه آية فى النظافة مع بساطته وضآلة الأثاث ، وقد قدمت لهم زوجة السائق قهوة لم يشربوا مثلها من حيث النكهة والنظافة فى كثير من بيوت أثريائنا فى مصر ، ثم وقفنا حيال الضريح فشرعت كل منا تقرأ الفاتحة فاذا انتهت منها تمتمت بكلمات . . ولما انصرفنا من هناك قالت أمى : هل تعلمين يا حبيبتى أنى دعوت لك كى تحصلى على الزوج الغنى الذى يعيد إليك هناءك وسعادتك ؟ صحت : أو مازلت تعتقدين يا أماه أن المال هو سبب السعادة بعد الذى حل بنا من شقاوة من جرائه ؟ ثم أطرقت قليلا ثم عدت فقلت : وأنا أيضاً دعوت يا أماه ! دعوت الله أن يطيل عمركما أنت وأبى وأن يبارك شيخوختكما . فصاحت أمى وهى تربت على كتفى لأن المكان لم يكن ملائماً للعناق أو للتقبيل : بارك الله فيك أيتها البنت البارة !

أول ديسمبر — اليوم هطل المطر بغزارة كما اشتد البرد ، فأسفت على النعيم الذى فقدته إذ كانت سيارتنا تقلنى فى مثل هذا اليوم إلى حيث أشاء من غير خوف من الأمطار. أما الآن فعلىّ أن أحسب حساب الوحل فى كل خطوة أخطوها ... رأيت أطفالا كثيرين فى الحىّ يمرحون ويلعبون فى الوحل الذى تكوّم فى الطرق والمنافذ عقب المطر وكانوا حفاة وثيابهم مهلهلة لا تستر شيئاً تقريباً . . . فحزنت من أجل ذلك ... رب كيف يسمح المصرى بوجود مثل هذا الشقاء فى دياره ؟ . . . إذ كم منهم سيعود الليلة إلى وكره — إذا كان له وكر ؟ ... — بنزلة شعبية أو التهاب رئوى ؟ . . . . رب أليس هنالك من يعنى بأمر هؤلاء البؤساء . ؟

✲✲✲

لم يذهب أبى اليوم إلى قهوته كعادته إذ أحس بتعب ربما كان من تأثير البرد . . . أرجو على كل حال ألا يكون هناك شىء جدّى قد ألم به لأن أعصابى لن تتحمل بعد كوارث أخرى. حقاً ! . . . أن أبى لرجل ظريف لم أعرفه جيداً فى الماضى إذ كنت مشغولة بالحفلات والزيارات . . . إنى قضيت معه أمسية

ظريفة تحدثنا خلالها فى شتى الشئون . . . هو رجل نزيه إلى حد بعيد ... إن أمثاله من الرجال لا يصلحون للعيش فى زماننا هذا . . . أبى يود تطبيق الشريعة الإسلامية بدلا من القوانين الأوربية كى تنتظم الأحوال فى مصر . . . قائلا إنه لو تم ذلك لما بقى فى البلاد مساكين أو أشقياء . . . ولكن أنا لا أظن أن للقوانين سلطاناً على القلوب . لا تصلح الأمور فى نظرى إلا إذا صفت ، قبل كل شىء ، القلوب وخلصت الضمائر ...

تحدث بعد ذلك عن أصدقائى فسألنى عن أخبار خطيبى السابق على الذى انقطع فجأة عن زيارتنا ، فأخبرته بأمر خطبته من اعتدال بنت الباشا السرى على الرغم من بداتها وقبحها فضحك وقال : يا لله ..! ما أسوأ زمانكم هذا . . . إن المادة أفسدت فيه كل شىء ... فى أيامنا يا ابنتى ... لم يكن الرجل الذى يبغى الزواج يفكر فى المال أبداً ، أنا تزوجت مثلا من أمك دون أن أعلم أى شىء عن ثروتها ... كنا فى ذلك العهد لا نهتم إلا بالأصل ... لأن الأصل هو كل شىء ... هو النبل، الاستقامة، الذرية الصالحة ... هل تعلمين أنى لم أر أمك إلا بعد الخطبة ؟.. صحت متعجبة : ولكن ألم تكن تخشى أن تجد العروس دميمة

يا أبي ؟ . . . فقالت أمي وقد سمعت قولي هذا وكانت أقبلت في هذه الأثناء تحمل قدحا من الشاي لأبي : أنا دميمة ؟ . . . آه لو كنت دميمة أيتها الابنة العاقة لما أنجبت فتاة حسناء مثلك . .

***

٣ منه — بالأمس مالت عليّ جاكلين إحدى الزميلات بالمكتب وكان هناك شيء من الود بيننا لتقارب مقاعدنا ثم قالت: إنها تدعوني غداً — أي اليوم — إلى الذهاب معها إلى السينما لمشاهدة رواية يمثل فيها نجمي المختار جاري كوبر إذ كنت أخبرتها بميلي لهذا الممثل ... أردت أول الأمر أن أعتذر لها لأني لا أريد أن أنشيء علاقات ، خارج العمل ، مع هؤلاء الأجانب الذين هم ليسوا من طبقتنا ، ولكني في الوقت نفسه لم أشأ ردها خائبة ، لأنها فتاة منكسرة لا يرغب أحد في مصاحبتها نظراً لدمامتها . لذلك قبلت على مضض دعوتها ثم انتظرتها اليوم في الوقت المحدد أمام السينما ولكن لشدة دهشتي لم تحضر جاكلين بمفردها بل جاءت تصحب صديقنا دون جوان المكتب .. .. إذن كانت هذه الدعوة باتفاق معه ... لم أقل شيئاً لدى رؤيتي إياه معها على شدة الغيظ الذي تملكني في تلك اللحظة ، ولكني

رددت تحيتها فى برود ، ولما دخلنا فى السينما أراد صاحبنا أن يجلس بجوارى فحلت دون ذلك .... وقد لاحظت چاكلين هذا فبدا عليها الارتباك ثم همست فى أذنى معتذرة قائلة : إنها كانت تجهل أن رفقة هذا الشاب تضايقنى ... ترى هل هى صادقة فى هذا الزعم ؟ ولما فرغنا من العرض أراد صاحبنا أن يدعونا إلى تناول شىء من الطعام أو الشراب فى مرقص من المراقص فاعتذرت. ولكن لما كنت فى الوقت نفسه أريد مضايقة هـذا الشاب المفتون بجماله قلت من فورى لجاكلين : أظن ألا مانع عندك أنت ياعزيزتى من قبول هذه الدعوة فأنت كما أعلم تهوين الرقص ... فصاحت الفتاة فى نشوة : بكل تأكيد ! ثم ألحت علىّ جاكلين لأذهب معها فاعتـذرت ثانية ثم قلت فى سخرية وأنا أودعهما موجهة الكلام إلى الدون چوان : أرجو لكما متعة سعيدة ... فاحمر وجـه الشاب و بدا عليه الارتباك إذ لا يروقه بطبيعة الحال أبدا أن يظهر فى محل عمومى مع فتاة دميمة مثل چاكلين البائسة ... أظن أنى بعد هذا « المقلب » تخلصت نهائياً من دون چوان ومغازلاته . .

***

٧ منه — شاهدت اليوم من جديد ذلك الفتى الوسيم الذى تنحى لى منذ أيام عن مقعده فى السيارة وكان لقاؤنا فى هذه المرة فى السيارة العامة أيضاً. جلست بجواره إذ كانت أكثر المقاعد مشغولة ما عدا مقعدين أحدهما بجوار رجل معمم بدين والآخر بجنبه هو، فاخترت طبعاً المقعد الأخير... وقد أتيح لى فى هذه المرة معرفة ما أصبو إليه ألا وهو تمييز لون عينيه... ولقد كانتا كما كنت أرجو أن تكونا... خضراوين... أجل إنهما عينان خضراوان كالزمرد الصافى لا يمل المرء النظر إليهما أبداً ... هو لا شك طالب حقوق إذ كان يحمل كتب قانون ... ثم رغبت بعد ذلك فى معرفة نبرات صوته . . حقاً... أن القناعة ليست من صفاتك ياسميحة... قلت: هل صوته جذاب مثل عينيه ... يا ترى؟ ... ولكن كيف يتاح لى معرفة هذا، وهو كما قلت من قبل، لا يهتم بى؟... لا بد إذن أن أرغمه على الكلام ... ثم شرعت أفكر فى الأمر حتى اهتديت بسرعة إلى حل، لأننا نحن بنات حواء لانعدم الحيلة كما يقولون عنا بحق ... ما ذا أصنع؟ ... انتظرت حتى بلغت بنا السيارة المحطة النهائية وكنت عادة أنزل قبلها بمحطتين، ثم أسقطت

منديلى — عمداً طبعاً — بحيث يشاهده هو ثم أسرعت فى الخروج ، عندئذ التقطه صاحبى ثم أخذ يعدو ورائى وهو يصيح : إليك منديلك يا آنسة ... خذى منديلك . فتناولته منه شاكرة متأسفة على إتعابى إياه ... ثم انصرفت وأنا أشكر الله على نجاح ترتيبى فى معرفة صوته أيضاً ، ولقد كان هذا الصوت كما كنت أرجو أن يكون . . . صوتاً جميلا جذاباً وإن لم يخل من الرجولة

أثَّر هذا الحادث فى مزاجى ، تأثيراً حسناً ، طول اليوم ، فكنت فرحة مسرورة على صورة غير عادية ، فى المنزل وفى المكتب على السواء ، مما لفت الأنظار هنا وهنالك ، كان هذا سبباً فى المكتب لتهكمات دون چوان ، ولكنى طبعاً لم أعبأ بها . أما فى المنزل فقد سألنى أبى عن سبب اغتباطى فى سذاجة ، فأجبته وقد احمرت وجنتاى على الرغم منى : لاشىء يا أبى لاشىء . . فهز رأسه وقال : حقاً ... أن الشباب لشىء جميل . إنه يبعث فى الإنسان الغبطة بدون سبب . . . ولكن أمى أظنها قد أدركت بعض ما ألم بى لأنها رمقتنى بنظرة كلها معانٍ . . . ونحن معشر النساء أقدر من الرجال فى معرفة أسرار القلوب وخباياها

الآن وقد رأيت لون عينى الشاب ، كما عرفت نبرات صوته ،

أود أن أعرفه هو شخصياً . . . حقاً أن مطامعك يا سميحة لا حد لها !

لقد اعتدت من زمن أن أطالع وأنا فى سريرى كى أجلب النوم . ولكن ها هى الكتب حولى لا تؤثر فىّ الليلة . . . حتى كتاب « الغذاء الأرضى » لأندريه چيد الذى كنت عادة أقرأه فى شغف ، لا يجذبنى . . . ترى لماذا ؟ . . . آه لقد عرفت السبب . . . إن عقلى لم يعد معى إنه يفكر فى فتى السيارة العامة الوسيم . . . ويحك يا سميحة . . . أبهذه السرعة تنجذبين ؟ . . ألم تقررى نسيان الحب بعد ما حلت بأهلك الكوارث ؟ . . . ألم تتعهدى لأبويك بالمساعدة فى محنتهما ؟ . . . أليس هما أحق باهتمامك من هذا الشاب الغريب ؟

***

١٢ منه — كان أمس يوماً موفقاً فيما يخصنى ، لأن رغبتى قد تحققت فى التعرف بفتى السيارة العامة الوسيم. أليس هذا اسماً لطيفاً لرواية بوليسية ؟ . . . وقد حدث ذلك على الوجه الآتى: كنت أخترق أحد الشوارع الكبيرة منتقلة من رصيف لآخر فلمحت الفتى داخلا مكتبة ، فقلت أخاطب نفسى : ها هى

الفرصة يا سميحة لا تتركيها تفلت من يدك . . . ولكن حياتى
كان يدفعنى مع ذلك إلى التردد ، عندئذ تذكرت كلمات
« دانتون » زعيم الثورة الفرنسية « أقدم . . . ثم أقدم . ثم
أقدم . . » فعملت بها إذ اندفعت كالسيل الجارف نحو المكتبة . . .
حقاً أن الإنسان يستطيع دائماً الوصول إلى ما يصبو إليه إذا
كان الهدف معيناً محدوداً . . . وجدت صاحبى داخل المكتبة
يتصفح مجلة أمريكية للسينما فقلت للعامل : هل هناك نسخة
أخرى من المجلة التى يتصفحها السيد ؟ . . . فاعتذر الرجل
لنفادها . . . عندئذ قدم لى الفتى نسخته قائلا : أرجو أن تأخذى
هذه يا آنسة ، فاعتذرت مردفة : ألا يكفى أنى حرمتك مرة من
مقعدك فى السيارة كى أحرمك هذه المرة من مجلتك ؟ . . . فألح
فى تقديمها إلى ، فتناولتها منه شاكرة ثم أخذ هو يتصفح مجلات
أخرى . . . أما أنا فجعلت أقلب فى هذه الأثناء كتباً مرصوصة
على سبيل تضييع الوقت لا غير ، حتى إذا رأيته انتهى من
اختيار مجلته وهم بدفع الثمن ، دفعت أنا أيضاً حسابى كى نخرج
من المكتبة فى وقت واحد . . . وقد تم لى ذلك . . . ثم سألنى
الفتى أثناء الخروج : حضرتك تسكنين فى السيدة . . . أليس

كذلك ؟ . . قلت : أجل ، قال : هل حضرتك عائدة الآن إلى هنالك ؟ قلت : أجل ولو أنى لم أكن فى الواقع عائدة فى تلك الساعة إلى هناك ، إذ كان علىّ قبل ذلك قضاء بعض الحاجات . قال : إذن نركب السيارة معاً لأنى ذاهب أيضاً إلى السيدة فى زيارة . قلت : إذن حضرتك لا تقطن السيدة ؟ . . . قال : بل فى المنيرة ولكنى أذهب كثيراً إلى السيدة لزيارة صديق حميم فيها . . . قلت مبتسمة : صديق أو صديقة ؟ . . . فضحك وقال : بل صديق . . . ثم ركبنا السيارة وقد أبى إلا أن يدفع لى أجر الركوب فأذنت له فى ذلك ، ثم تحدثنا عن السينما التى يهواها كل منا ، وقد ظهر أنه مثلى يعجب بجارى كوپر ، ثم قال : إن سينما « ديانا » سوف تعرض فيلماً جديداً لجارى فهل لى أن أشاهد هذا الفيلم معه عند عرضه ؟ قلت : لا مانع عندى . قال : إذن كيف أخبرك . قلت : كلمنى فى التليفون رقم كذا . . . فأخرج مفكرته حيث دون النمرة ثم سأل مبتسما : والاسم من فضلك ؟ . . . قلت سميحة . . . قال : تشرفنا وأنا اسمى أحمد . . . قلت : تشرفنا يا افندم . . . ثم ضحكنا فى وقت واحد على هذه الرسميات .

ولما بلغت محطتى وهى قبل محطته بموقفين ، غادرت السيارة وأنا أحمد الله على هذا التعارف لأن فتى السيارة هذا . . أحمد . . . لطيف جداً ، كما أنه جذاب للغاية . ولكنى أرانى قد أخطأت حينما سألته هل كانت زيارته فى السيدة لصديق أو صديقة . . إذ بأى حق أسأله ذلك ؟ .

* * *

١٣ منه — أمر أمى يدعو إلى الإعجاب ، طيبتها لا حدّ لها ، هى لن تجرؤ على إلحاق الأذى بنملة ، كما بلغ كرمها حد التبذير فى أيام العز . و إذا كانت تتألم اليوم من الكارثة التى حلت بنا فلا شك عندى فى أن أثر هذا الألم يرجع إلى أن قدرتها على عمل الخير قد حدت . . جاءت إلى غرفتى الليلة حوالى الساعة الثامنة تقول لى فى شئ من القلق الذى أحب مظهره عليها : سميحة إن والدك لم يحضر بعد و إنى فى حاجة عاجلة إلى جنيهين فهل يمكنك أن تعطيهما لى ؟ . . سلمتها الجنيهين قائلة : ألا يمكننى من باب الفضول معرفة شخصية ذلك الدائن السمح الذى يحضر فى مثل هذه الساعة المتأخرة ليطالب بدينه ؟ . . قالت فى تردد : ليس هناك دائن ما يطالب بهذا المبلغ ، إنما هى جارة مسكينة توفى

زوجها وهى فى حاجة إلى هذا المبلغ لتخرجه . ولما انصرفت المرأة بالنقود لمت أمى على هـذا قائلة إن الظروف تغيرت الآن فلا يحق لنا مع الأسف أن نبسط يدنا لمن جاء . فأجابتنى فى حزن لمت نفسى بعد ذلك على أنى سببته لها : أعلم ذلك يا ابنتى ولـكنى هكذا خلقت. لا أستطيع أبداً رد محتاج، ولو أدى هذا إلى حرمانى أنا . . . حقاً . . . أن أمى ملاك . . . بهذه المناسبة أذكر أن لها صديقة حنبلية لا تتخلى عن السبحة لحظة ، تلوم أمى لإهمالها بعض شعائر الدين محذرة إياها من جهنم وسوء المصير ، ولكنى واثقة أن قلب أمى هذا الطاهر الحنون الذى يفيض بالناس رحمة ومحبة ، لن تمسه النار بسوء .

* * *

١٤ ديسمبر – اليوم بعد الظهر أقيم عندنا فى البيت فصل تمثيلى فكاهى جديد (بالريحانى) كانت بطلته الست عائشة زوجة تاجر التوابل الذى يقطن بالقرب منا . هذا ما حدث :

جاءت عصر اليوم الست عائشـة تزورنا وبعد أن أدت واجبات التحية والسؤال عن الصحة الخ . . قالت لأمى وهى ترمقنى أثناء نظراتها : مبروك إن شاء الله يا هانم عندى عريس عظيم

للست سميحة . لم تكد نفوه الست عائشة بهذا القول حتى تدخلت أنا فى الحديث خشية أن تثور أمى على الخاطبة فتفسد علينا هذا الفصل الفكاهى المتوقع . قلت : عريس عظيم ، ومن يكون ياترى ؟ قالت مبتسمة : ولكن هل تعدينني أولاً بالحلاوة لو تمت الأمور طبق المرام ؟ قلت : أعدك والله العظيم . قالت : إذن لاحرج من ذكر اسمه يا حبيبتى ، هو العم مصطفى . قلت : ومن يكون العم مصطفى هذا ياست عائشة ؟ إنا لم نحظ بعد بشرف معرفته . قالت : هو شقيق زوجى . قلت : وما صناعته ؟ قالت فى تأفف : صناعته ؟ هو صاحب ملك يا حبيبتى واسع الثراء يملك مئات الأفدنة فى الوجه البحرى . قلت : وكيف أحس بى ؟ قالت : كان يزورنا فى الأسبوع الماضى فأبدى رغبته فى الاقتران بفتاة من أهل مصر تكون بنت ناس طيبين . فرأيت من الأمانة بل بحق الجيرة علىّ أن ألفت نظره إليك ، ثم لما رآك هو من يومين بعينى رأسه لم يتردد لحظة فى إيفادى إليكم لهذا الغرض . قلت : هذا كرم ولطف منك ياست عائشة ؟ فأطرقت المرأة تواضعاً فأردفت قائلة : وما سنه ياست عائشة ؟ قالت : حول الخمسين . قلت : فوقها أودونها ؟ — فوقها قليلا . قلت : وهل وجهه وسيم قالت مبتسمة:

هو البدر فى تمامه يا حبيبتى . كادت أمى تنفجر ضاحكة لدى سماعها قول الست عائشة بأن العم مصطفى هو البدر بعينه لولا أنها تمالكت نفسها وأشاحت بوجهها ، ثم عدت إلى استجوابى للست عائشة قائلة : وهل سبق له أن تزوج ؟ قالت فى حيرة : هو متزوج ، ولكن لا تلقى بالاً لهذا يا حبيبتى لأن الزوجة المذكورة فلاحة لا تغادر الريف أبداً ، ثم هى دونك بمراحل من حيث الحسب والنسب والظرف والجمال . قلت : وهل تزوج من غيرها ؟ قالت : أجل كانت له زوج أخرى ولكنه طلقها لسوء سلوكها معه . قلت : ترى ما كانت جريرتها معه ؟ قالت: لقد زورت عليه السافلة كمبيالة بمائة جنيه . قلت : ربما كان شحيحاً معها فى المعاملة فاضطرت المسكينة إزاء ذلك إلى ارتكاب هذا الوزر . صاحت معترضة : كلا يا حبيبتى إن العم مصطفى هو الجود بنفسه . قات : وهل له منها أولاد ؟ قالت : لا ، قلت : ومن زوجته الحالية ؟ قالت : ثلاثة

نطقت الست عائشة بالجملة الأخيرة فى صوت مبحوح لأن التعب كان قد نال منها من كثرة إلحاحى وتعدد أسئلتى... ولكنى لم أبال بتعبها بل عدت إلى إرهاقها قائلة : هم ذكور أم إناث ؟ قالت :

ولدان و بنت ، قلت : وما عمرهم؟ قالت: البنت فى السابعة والولدان أحدهما فى التاسعة والآخر قد جاوز الثالثة عشرة ... أطرقت عندئذ قليلا ثم قلت : قبلت العم مصطفى زوجا لى ولكن بشرط واحد قالت فى حيرة : بشرط ؟ . . ثم أطرقت بدورها ثم عادت فقالت فى ابتسامة عريضة : فهمت قصدك يا حبيبتى، أنت تخافين أن يكون المهر دون المقام ، كلا لا تشغلى بالك بهذا الموضوع إذ أنى أوليته عظيم اهتمامى من أول الأمر لأنه كلما كان المهر مرتفعاً زادت السمسرة . قلت:ليس هذا ما أشترطه ياست عائشة ، إنى أطلب من العم مصطفى أن يجيئنى قبل زواجى منه ، برءوس زوجته وأولادها الثلاثة . قالت مستضحكة : حقاً ما أظرفك ياحبيبتى إنك تجيدين فن النكتة . قلت عابسة : أنا لا أمزح الآن ياست عائشة ، أنا جادة فى طلبى ، ثم أخذت أصيح بأعلى صوتى : أريدمنه أن يقتلهم جميعاً أفهمت يقتلهم جميعاً . جميعاً . فولت عندئذ الست عائشة الأدبار مذعورة مستنجدة بأولياء الله لا يخامرها شك فى أننى حقاً جننت .

أما أمى فكاد يغمى عليها من الضحك. ولما عاد أبى فى المساء قصصنا عليه ما حدث فشاركنا ضحكنا . غير أنه اعترض قائلا :

لكنى أخشى يا ابنتى أن الست عائشة هذه تشهر بك وتعلن جنونك فى الحى . فأجبته : ولكن أعترف يا أبى بأن الفصل يساوى تشهيرها بى . فربت أبى على كتفى قائلا : آه منكم يا شباب اليوم أنتم شياطين فى زى ملائكة .

١٦ ديسمبر — شاهدت عند ذهابى اليوم صباحا إلى المكتب الست عائشة واقفة على عتبة بيتها تتهيأ بدورها للخروج. فلما رأتنى أسرعت فى الالتجاء إلى الداخل مذعورة وكأنها قد شاهدت الشيطان بنفسه . مسكينة الست عائشة لقد ربيت لها الفزع . أظن أن أبى كان محقاً حينما زعم أنى تجاوزت معها حدود المداعبة. ولكن هل هو ذنبى ؟ لماذا لا يتركوننى وشأنى ؟

٢٤ منه — كاد ينفد صبرى هذا الصباح لأن فتى السيارة العامة لم يكلمنى بعد فى التليفون كما وعد بذلك لدى عرض فيلم جارى كوبر ، وقد بدأت سينما ديانا فى عرضه منذ البارحة ، إذ كنا اتفقنا على مشاهدته معاً ، ترى هل نسينى ؟ . . . ولكن أنا مع الأسف لم أنسه . . . رب لماذا جعلتَ الميل بين الناس غير متبادل ؟ . . . لماذا ؟ . . .

التليفون موجود على مكتب جاكلين ، لذلك اضطررت أن

أبالغ فى هذه الأيام فى التلطف معها بعد حادث السينما كى لا تتلكأ فى اخبارى عند ما يتكلم أحمد . . . بل أصبح التليفون هاجساً لى يهز مشاعرى كلما دق . . . حقاً . . . يا لها من حرب أعصاب ! . . ومع ذلك كنت أعمل طاقتى كى أتظاهر بالهدوء حتى لا ألفت إلىّ الأنظار ، إذ لو علم مثلا صاحبنا الدون چوان بما أنا فيه من قلق لسخر منى كل السخرية . . . خصوصاً بعد مقلب المرقص . . . أخيراً جاء النداء الساحر . . . قال أحمد : الآنسة سميحة ؟ ... قلت: أجل . قال : صباح الخير ، أنا أحمد، إنى أذكرك بفيلم جارى كوپر . قلت: أجل إنه يعرض الآن فى ديانا . قال : هل عندك مانع أن نذهب بعد الظهر فى عرض الساعة الثالثة ؟ . . . قلت : ألا يمكن أن نذهب الساعة السادسة ، لأنى أنتهى من عملى هنا بالمكتب فى الساعة السادسة . . . قال متعجباً : المكتب ؟ قلت : أجل المكتب . . . قال : حسناً ، سأنتظرك فى الساعة السادسة والربع تماماً أمام السينما . . . ثم كان اللقاء ، وقد ذهبت أنا مبكرة عن الموعد ، يا للخجل يا سميحة كيف تبدين مثل هذه اللهفة ؟ . . . أما هو فقد حضر فى موعده . . . لم نتحدث كثيراً أثناء العرض لأننا كنا

مأخوذين بالتمثيل . . . ثم ذهبنا بعد انتهاء السينما إلى محل بيع شطائر ومشروبات حيث تناولنا قدحاً من الشكولاته الساخنة ، لأننا كنا فى أشد الحاجة إلى الدفء ، إذ أن الليلة كان بردها قارساً .

صحبنى بعد ذلك إلى موقف سيارات السيدة زينب ، وفى أثناء الطريق بينما كنا نجتاز شارعاً كبيراً مزدحماً بالعربات والسيارات أمسكنى من يدى كى يعاوننى على اجتياز الشارع ، ولما بلغنا الرصيف الآخر ظل قابضاً على يدى، عندئذ صحت : هل أستطيع الآن وقد اجتزنا الشارع أن أسترد يدى ؟ . . فتخلى عنها بعد أن وضع عليها قبلة خاطفة . . . قلت : حقاً . . إنك تتسرع . . . قال : ولم لا ما دمت أعجبك . . . قلت : وأنّى لك هذا ؟ قال : لما أبديت من غيرة علىّ حينما سألتنى أول مرة ، هل أذهب إلى السيدة لزيارة صديق أو صديقة . . .

من حسن الحظ أن الدنيا كانت ظلاماً فى تلك اللحظة وإلا لشاهد تلك الحمرة السخيفة التى تعلو وجوهنا فى مثل هذه الأحوال الحرجة ، ومع ذلك أجبته : لم أسألك هذا إلا على سبيل المزاح . . . قال : وأنا لم أقبل يدك إلا على سبيل المزاح .

حقاً . . . ياله من فتى صعب المراس !

***

٢٨ منه — اليوم صباحا كلمنى أحمد مرة ثانية فى التليفون مقترحا أن نذهب إلى السينما بعد الظهر فقبلت اقتراحه بسرور لأن أحمد ، فضلا عن ميل قلبي إليه ، صاحب لطيف مسل ، وهو لا يحمل خبثاً كهؤلاء الأصحاب الذين خلفتهم فى الزمالك . ولكن الفيلم مع الأسف كان مملا فى هذه المرة لأن الرواية كانت تحوى حواراً كثيراً ، والحوار أصلح للمسرح منه للسينما ، بل السينما تعتمد أكثر شيء على الحركة ، لذلك غادرنا السينما وسط العرض ، ولما كان أمامنا فسحة من الوقت ذهبنا إلى منتدى من منتديات الشاى حيث تحدثنا هناك طويلا فى شتى الأمور ، ثم دار الحديث عن الفتيات المصريات العصريات اللواتى يشتغلن مثلى ، إذ كنت أخبرته بأنى موظفة فى الشركة التى كلمنى فيها بالتليفون ... فحمل علينا قائلا إنه لا يوافق أبداً على نزول المرأة إلى ميدان العمل لأن المرأة مكانها الطبيعى فى البيت حيث ترعى شئونه كما أن عليها أن تعنى بتربية الأولاد. وقد نسب إلى مزاحمة المرأة للرجل فى الأعمال تلك البطالة المروعة المتفشية فى

العالم بين طبقات العمال ، وقال إن بعض الدول الأوربية التى هالها الأمر ، شرعت تسن القوانين لتحول دون ذلك . . . قلت : ولكن المرأة فى كثير من الأحوال تعمل لأنها فى حاجة إلى هذا العمل لتعيش منه ، إذ أننا لم نعد نعيش بعد فى ذلك الزمن السعيد الذى كانت فيه العبيد ترفع إلينا طعامنا فى أوان من الفضة والذهب . قال : إنك تبالغين يا عزيزتى ، أنت مثلاً لا تزاولين عملك إلا من باب التسلية لا غير ... ألا تدركين أنك بعملك هذا حرمت رب أسرة من رزقه ؟ . . . قلت مبتسمة : ولكن أنا أيضاً يا عريزى أعمل من أجل رزقى ، ثم شرحت له مأساننا فتألم لدى سماعها كثيراً ، كما اعتذر لى عما قال مردفا أن تقديره لى قد زاد أضعافا من جراء ذلك . قلت· هل أدركت الآن أننا على حق ، نحن فتيات اليوم ، فى رغبتنا فى النزول إلى ميدان العمل ؟... ترى ماذا كان مصيرى لو حلّت بنا هذه الكارثة ونحن فى عهد المماليك مثلا ؟ لا شك أنى كنت أطرح للبيع فى سوق من أسواق الرقيق .... فضحك وقال : كنت أفضل هذا لكى أستطيع اقتناءك .... قلت : ولو سبقك إلى هذا أحـد هؤلاء المثرين من ذوى البطون المنتفخة

والشوارب المفتولة ؟ ... قال : كنت أطحت رأسه بسيفى .

ثم تحدثنا عن الزواج ، فانتقد زواج العصريات قائلا إن هناك فتيات من أكرم العائلات انفصلن عن أزواجهن ولما ينقض شهر العسل ... قلت: هذا صحيح ما زلنا فى دور الانتقال ولا بد من ضحايا حتى تستقر الأمور .. قال : انظرى إلى الزواج فى عهد آبائنا ، لقد كان محترما بل مقدساً فى نظر الزوجين ... فلم نكن تحدث حوادث طلاق إلا نادراً ... قلت : لأن الرجل كان يكثر من الزوجات ، فعلام الطلاق ؟ . ونظرت فى هذه الأثناء إلى الساعة التى فى معصمى فرأيت عقربها الصغير قد اقترب من التاسعة عندئذ نهضت للانصراف فنهض مثلى ... ثم عاوننى فى وضع معطفى ... ثم انصرفنا من المحل بعد ما قضينا ساعة ونصف ساعة فى مثل هذه الثرثرة ... قال وهو يوصلنى إلى محطة السيارات : يا حبذا لو كنت تعلمت مثلى الحقوق إذن لكان لك فيها شأن وأى شأن .. ولكنه فى هذه المرة لم يحاول تقبيل يدى ؟ .. ترى لماذا ؟ ..

* * *

٣٠ منه — قابلت أحمد بعد ظهر اليوم أيضاً ، وكان

ينتظرنى فى محل الشاى الذى قضينا فيه أمسيتنا أول من أمس ... قال أحمد : أليس عجيباً أن نصبح ، بين عشية وضحاها ، صديقين حميمين؟ ... قلت : حقاً ... أن الحياة ملأى بالعجائب. قال : هل تعرفين أنى أدركت ميلك لى منذ أول لقاء لنا فى السيارة العامة حينما تخليت لك عن مقعدى ؟ فقد لمحتك أثناء وقوفى وأنت تختلسين إلىّ النظر ... قلت مبتسمة : ولكن ثم شىء آخر لم تدركه بعد ... قال : ماذا ؟... قلت إنى أسقطت فى يوم آخر منديلى عمداً كى ترده إلى ، قال متعجباً : حقاً أن النساء شيطانات ، لا يستطيع المرء أن يسبر غورهن أبداً ثم أضاف: هل تعلمين ما أنا صانع هذا العام حينما أنتهى من دراستى؟ قلت: لا ... قال : أتزوجك ... قلت: و إذا رغبت عن ذلك ؟... قال: لا تستطيعين لأنك تحبيننى ... على الأقل هكذا تقول عيناك فى هذه اللحظة .. فضلا عن أنى حائز للشروط التى تؤهلنى للزواج . فأنا بالغ ، سليم الجسم والعقل ... قلت : حقاً ؟ ... إنى أشك فى سلامة الأخير ... ثم لنفرض أن آباءنا يرفضون . قال : أرجو ألا تتغابى فأنت تعرفين جيداً أن الأبناء هم الذين يفصلون اليوم فى مثل هذه الشئون ، فضلا عن أنك لست بالطفلة

التى أغرر بها ، إذ أنت فتاة تجاوزت سن الأهلية ولا شك .
بهذه المناسبة كم سنك ؟ قلت دهشة : ألا تعلم أنه من عدم اللياقة سؤال فتاة عن سنها ؟ . حقاً لقد كنت مخدوعة حينما ظننتك فتى مهذباً ... ما أصدق المثل القائل : ما كل ما يلمع ذهباً ... قال فى هدوء : لو كنت تجاوزت الثلاثين لما سألتك سنك أبداً لا من باب المجاملة ، بل لأنك فى تلك الحالة ما كنت تصدقيننى القول ، أما الآن فالأمر عكس ذلك ، إذ أن الفتيات أضرابك يجدن لذة فى زيادة أعمارهن كما هو أيضاً شأننا نحن معشر الفتيان . أذكر أنى كنت وأنا فى الخامسة عشرة ، أحلق ذقنى يومياً بدون أن تكون بى حاجة إلى هذا وذلك كى أعجل نموها لأبدو رجلا للعيان ... ما هو سنك يا عزيزتى ؟ ... قلت: لا بأس من إخبارك ... أبلغ الثامنة عشرة فى الثامن عشر من يناير المقبل . قال : أرأيت أنى أصبت حينما زعمت أنك فى سن تؤهلك للزواج ؟ . . ثم أخرج من جيبه مفكرته فدون فيها هذا التاريخ ثم أعادها فى كل بساطة إلى مكانها ثانية ، فصحت متعجبة : ما هذا ؟ . ما ذا تصنع ؟ ... قال : سجلت تاريخ ميلادك يا عزيزتى كى أقدم لك فيه هدية ... فأنا إن لم أفعل

هذا غضبت ورميتنى بالفتور كما اتهمتنى بقلة الحساسية . . . قلت : وأنّى لك كل هذا ؟ . . لا شك أن الفتاة التى تهواها تعاملك هكذا . . . قال مبتسما : هل ملكتك الغيرة ؟ . . . ولكن كيف تسمحين لنفسك بالغيرة وأنت من أنت ، الفتاة العصرية التى تسخر من ضعف نساء العهد الماضى وجهلهن ؟ قلت وقد حزّ فى نفسى هذا القول لأنه أصاب عين الحقيقة إذ كنت فعلا أشعر بالغيرة : وبأى حق أغار عليك ، وما أنت إلا صديق لى ؟ قال : ألا تعلمين أن الصديق أيضاً قد يغار على صديقه ؟ . . . أنا مثلا كان لى صديق ونحن فى المدارس الثانوية ، يبكى إذا انصرفت عنه لأصاحب آخرين . قلت متنهدة : مسكين ذلك الصديق الصغير كم قاسى على يديك . . . قال : ثرثرى ما شئت يا عزيزتى ولكنى أؤكد لك بأنك سوف تصبحين زوجاً لى . . . قلت : حقاً ! ! ! لا أستطيع ذلك يا عزيزى ولو أن شكلك وهندامك يروقانى لأن آراءك فى الزوجية رجعيـة ، أنت أهل فى حالة زواجى منك أن ترغمنى على لبس الياشمك قال : ولم لا ، ربما صرت فيه رائعة يا عزيزتى ؟ قلت محتدة : إذن أنت

لا تنظر إلى زوجك نظرة الرجل إلى رفيقة حياته بل نظرة السيد إلى جاريته أو نظرة الرجل الهاوى إلى قطعة فنية . . . حقاً ... مثلك كان الأحرى به أن يعيش فى تلك العصور المظلمة المنقرضة التى كانت تبيح الرق . . . لا فى زماننا هذا ، زمن العدل والحرية والمساواة . . . ثم كدت أتشاجر معه جدياً لولا أنه تدارك الأمر فغير مجرى الحديث .

طفنا بعد ذلك فى بعض الأحياء الأوربية مع برودة الجو ، لأن الأضواء المنبعثة من الحوانيت والمقاهى هناك كانت جذابة ، إذ عرضت عروضها فى أثواب زاهية من أجل عيد رأس السنة . قال أحمد : هل تحبين أن نقضى سهرة رأس السنة فى المحلات العامة قلت : لا بأس ، ولكن يدهشنى أن يصدر منك مثل هذا الاقتراح وأنت ذلك الفتى الرجعى من رأسه إلى قدمه . . . قال : لا أرى غضاضة فى ذلك ما دمنا نذهب متفرجين . . . قلت : أتعنى أننا لا نرقص ؟؟ ... قال : أنا لا أعرف الرقص فبطبيعة الحال لن أسمح لك بمراقصة غيرى . . قلت : وبأى حق هذا المنع ؟ ... قال : بحق الصداقة ... قلت مبتسمة : حقاً ... إنها الصداقة عجيبة ! قال : أظن أنه يحسن أن نلبس

ملابس السهرة ؟ ... قلت : طبعاً ... ترى هل عندك «سموكن» أو « فراك » ؟ قال مغضباً : لا هذه ولا تلك يا سيدتى ... يبدو من سؤالك أن تفكيرك ما زال هو تفكير طبقة أبناء الذوات الذين تزعمين أنك كرهتهم وهجرتهم إلى الأبد . قلت : أنا آسفة لم أقصد إحراجك بسؤالى . أرجو أن تصدقنى ... فابتسم قائلا : صدقتك يا عزيزتى ... أما عن السهرة فسأستعير « سموكن » صديقى توفيق فهو فى طولى وقوامى ... ثم اتفقنا على اللقاء مساء الغد أمام محطة المترو لنتوجه من هنالك إلى منتديات السهر .

اليوم نفسه فى الليل – أرى على الرغم من كثرة شجارى مع أحمد ، أنى أكون سعيدة لو تزوجت به لأننى لم أعد أطيق بعده ، ولو أرغمنى بحكم رجعيته على لبس اليشمك – ويحك يا سميحة ألا تخجلين من إبداء مثل هذا الضعف ؟ وكم أود أن أرى الليلة فى أحلامى تلك العيون الخضراء الجذابة .

***

٣١ منه – (صباحاً)

قالت أمى لى صباح اليوم وأنا أفطر وحدى مبكرة من أجل

عملى — أما هى فتنتظر أبى حين يصحو لتفطر معه — : ألاحظ عليك يا عزيزتى أن ثم شيئاً ، أو بالصراحة شخصاً يشغلك هذه الأيام ، إذ أشاهدك مرحة أكثر من ذى قبل ، كما أنك تتأخرين الآن فى العودة ، أقول لك هذا من باب التحذير لا غير ، كى لا يتحطم قلبك مرة ثانية ، أما من حيث سيرك الشخصى فأنت تعلمين مقدار ثقتنا بك ، لأنكن يا معشر فتيات اليوم ولو أنكن تثرن حوالكن الأقاويل بسهراتكن الصاخبة التى تناقض تقاليدنا الشرقية القويمة لا تفقدن صوابكن أبداً ولا يمكن أن يغرر أحد بكن . . . كفتيات العهد الماضى الساذجات ، قلت ضاحكة وأنا أربت على كتفها: أنت واهمة يا أماه . إن قلبى لم يتحطم من أجل على لأنى من حسن حظى لم أكن أحبه بل كنت أجده ظريفاً لا غير . . . أما أحمد . . . وهو اسم الشخص الذى تشيرين إليه فما هو إلا صديق لى ظريف مثقف ولو أنه يغضبنى أحياناً بجدله لأنه مع الأسف رجعى فى أفكاره الأمر الذى قد يؤدى بنا يوماً إلى الخصومة فتنهدت أمى قائلة : أو إلى الحب . . حاذرى يا ابنتى حاذرى . . إنى أخشى أن أرى يوماً هذه العيون الصافية الجميلة معكرة بالدموع . ضممت عندئذ أمى إلى صدرى ثم شرعت

أمطرها بقبلاتى قائلة : لا تخشى أبداً يا أماه على ابنتك فهى نمِرة . حقاً ما أطيب قلوب الأمهات .؟

مساء — رآنى أبي وأنا فى فستان السهرة فسألنى باسماً عن غايتى من وضعه فقلت إنى أقضى السهرة – سهرة رأس السنة— لدى صديقتى لوسين وهى الفتاة التى عاونتنى على الحصول على وظيفتى . اضطررت أن أكذب على أبى كى لا أشغل باله بأمر تافه مثل هذا ولو أنى أبغض الكذب .

أما أمى فقد أطلعتها على الحقيقة .

قابلت أحمد بعد ذلك وكان جذاباً فى بذلة « السموكن » وددت لو شاهدته وهو على هذا الحال صديقاتى السابقات من أهل الزمالك كى يذبن حسداً وغيرة . من يدرى ؟ ربما التقينا بهن الليلة أثناء مطافنا . أخذنا بعد ذلك نجول هنا وهناك . قال أحمد أثناء السير : أخشى أن يقول الافرنج عنا إننا نحتفى بشىء لا يخصنا ، إذ فى الواقع ما لنا ورأس السنة الافرنجية ؟ قلت : مادمنا نتبع نظامها فى حياتنا العامة فلم لا نحتفى بها ؟ إن الشىء الذى لا أقره حقيقة هو احتفاء أمثالنا بعيد ميلاد المسيح ، لأن هذا عيد دينى بحت ، وكثير منا مع الأسف معشر المسلمين

يحتفلون بهذ العيد بل يبالغون فى ذلك . فتراهم يهيئون فى بيوتهم شجرة الميلاد كما يجلب بعضهم خصيصاً من أوربا الكعك الذى يقدم فى هذا المقام ! قال أحمد : ما رأيك فى العام الذى ينصرم الليلة ؟ هل تشيعينه بالرضا أو بالسخط ؟ قلت بعد شىء من التفكير: والله لا أدرى، فمن جهة أراه مسئولا عن الدموع الغزيرة التى ذرفتها أمى المحبوبة أثناء الكارثة المالية ، ولكن من جهة أخرى أرانى تجنبت فيه التزوج من ذلك الغر على — وكنت حدثت أحمد عنه — ، كما أنى تعرفت فى خلاله أيضاً بذلك الصديق الرشيق الماثل أمامى . فابتسم أحمد ثم جذب يدى نحوه فطبع عليها قبلة طويلة . قصدنا فيما قصدنا ، فندق « شپرد » وكان زاخراً بالناس من مصريين وأجانب وكانوا فى أشدحالات النشوة والسرور ، وقد لمحت بينهم (على) وخطيبته البدينة وكانا يرقصان ، وقد اصفرّ وجهه لدى رؤيته إياى كما لاحت عليه علائم الغيرة حين وقع نظره على أحمد الذى كان فى تلك اللحظة متأبطاً ذراعى . قال أحمد وقد أدهشه ما كان عليه القوم من سرور ومرح جارفين : ألا يدرك هؤلاء الحمقى الذين يبالغون هكذا فى الاحتفاء بزوال عام و إقبال آخر أنهم يحتفون بزوال أعمارهم التى

لن تعود ثانية ؟ بل إن اللحظة الواحـدة لا يستطيع كائن على ضآلتها أن يردها إلى الوراء ولو كان هذا الكائن من أصحاب الملايين مثل فورد أو روكفلر . . قلت: المسألة بسيطة يا عزيزى لانحتاج إلى ملايين ، بل إلىّ ريالاً واحداً وأنا أرجع لك ساعتى إلى الوراء كما شئت، دقيقة ، ساعة ، يوماً .. فرد أحمد ضاحكاً : حقاً أن فلسفتك مدهشة لم يأت بمثلها ديكارت أو (كانت). قلت متنهدة : لو كانت الحياة تنقضى فى مرح وسرور فأنا أشاركك أسفك من حيث سرعة هروب الزمن ، أما إذا كان الأمر عكس ذلك فليمض الوقت غير مأسوف عليه . . ولما دقت الساعة الثانية عشرة أطفئت الأنوار لحظة قبلنى أحمد خلالها قبلة رقيقة ، رددتها له . . . أظن أن أحمد لم يهىء لسهرة الليلة إلا ليغنم هذه الفرصة لأننا فى غير هذا لم نشارك القوم مرحهم . . .

* * *

٢ يناير — قابلت أحمد فى السيارة العامة ، على سبيل المصادفة ، وكان بصحبة أمه فقدمنى إليها كزميلة له بالجامعة . دهشت لزعمه هذا فهمست فى أذنه مستفهمة عن السبب فأجاب همساً أيضاً أن أمه من الدقة القديمة لا تستطيع أن تدرك أن

تكون هناك علاقة بين شاب وشابة على أساس الصداقة ، أطرتنى أمه على حسن منظرى ورشاقة قدى كما دعتنى إلى زيارتها فى أقرب فرصة فوعدتها بذلك ... سألبى دعوتها كى أعرف عن كثب من قد تصبح يوماً ما ... من يدرى ؟ ...

***

٣ منه — كلمنى أحمد فى الصباح قائلاً إن أمه وقد أعجبت بى ، تدعونى إلى تناول الغداء معها ظهر اليوم فقبلت الدعوة ، ثم اتصلت فى التليفون بدكان العم صالح وهو قريب من بيتنا فى السيدة كى أخطر أبوى بتخلفى عن الحضور .

البيت بالمنيرة وقد صحبنى إليه أحمد ... هو منزل ضخم اضطر صاحبه لكبره إلى إيجاره شققاً مستقلة لأن الناس لا يرغبون اليوم فى الفيلات الكبيرة ... هما يقيمان فى الدور الثانى والشقة كبيرة واسعة الأرجاء لذلك يبدو الأثاث فيها ضئيلا ... وهو مع الأسف « بلدى » ... والشقة بها أربع غرف . غرفة يحتلها أحمد وغرفة أمه ، وغرفة للطعام ثم الغرفة الرابعة تركت لإقامة الأهل والأقارب الذين يفدون من الريف من وقت لآخر لقضاء

بعض الحاجات فى العاصمة . أما الخدمة فتقوم بها فتاة ريفية فى الرابعة عشرة من عمرها .

كان الطعام شهياً ولو لم يخل من الدسم المحبب لدى أهل الريف . ولما أطريته قالت أمه فى رضى إنها هى التى أعدته كما أنه يسرها أن تعلمنى فن الطهى لو شئت أنا ذلك .. فقاطعها ابنها قائلا : كيف تطالبين يا أماه فتاة مثقفة تدرس بالجامعة أن تتعلم فن الطهى ؟ حقاً ... ما أعجب أمر أحمد الذى يصر على ادعائه بأنى طالبة بالجامعة ... قال أحمـــد أيضاً ونحن لا نزال على مائدة الطعام : أتدرين يا أماه ما أنا صانع بغرفة الضيوف عند ما أتزوج من سميحة ؟ ... سأجعلها غرفة أولاد ... تنهدت عندئذ أمه ثم أجابت : إن أسعد يوم فى حياتى يا ابنى هو اليوم الذى أضم فيه إلى صدرى ولدك ... أما أنا فقد احمر وجهى خجلا كما عقات الدهشة لسانى ... علمت من أمه فى أثناء الحديث أنها تقضى وقتها موزعا بين ولديها أحمد وأخته ، إذ أن أحمد له أخت متزوجة فى الريف .

رأيى فى والدة أحمد أنها سيدة طيبة القلب ، إلا أنها على جانب من الجهل والسذاجة ... بعد انتهاء الغداء صحبنى أحمد

ثانية إلى مقر عملى ، وقد لمته فى أثناء الطريق على ملاحظته الوقحة عن غرفة الأولاد ، فقال ضاحكا : آسف لم أعلم أنكن يا فتيات اليوم قد يخجلكن . شىء

حقاً ... أن أحمد وقح للغاية !

٤ يناير — كنت واقفة أنتظر الأتوبيس حينما وجدت من يحجب عينىّ من الخلف ، فالتفت ورائى فإذا المتظرف على هذا النحو عليّة . قبلتنى صائحة بعد التحية والسؤال عن الصحة أن لديها أخباراً قد تهمنى للغاية. فتصنعت الاهتمام لمعرفة هذه الأخبار من باب المجاملة لا غير ، لأنى فى الواقع لم تعد أحوال هؤلاء القوم تهمنى البتة . قالت عليّة : تصورى يا عزيزتى لقد تخلى فتحى عن صاحبته سونيا المتعجرفة قلت : هذا خبر عجيب لأن (فتحى) هذا كان يطمع فى الانتفاع من نفوذ أبيها الوزير السابق بعد تخرجه . . فصاحت فى شماتة لم ترقنى منها : نفوذ أبيها ! لقد ضاع هذا النفوذ يا عزيزتى، ضاع بموته ! قلت : متى توفى ؟ قالت : من أسبوع . قلت : مسكينة سونيا هى ضربة قاسية لها إذ تفقد أباها وخطيبها فى آن واحد . قالت عليّة : هل تعطفين عليها بعد كل ماحدث منها ؟ أنسيت تحنها وتطاولها عليك يوم النادى ؟ قلت :

صدقيني يا علية لقد قاسيت كثيراً حتى لم يعد فى قلبي مكان للحقد . وأقبلت فى هذه الأثناء إحدى السيارات العامة التى تعمل على خطنا ولكنى تخلفت عنها كى تشبع علية ثرثرة، مسكينة هذه الفتاة سوف تصير نمّامة كبيرة كجارتنا السابقة حكمت هانم عند ما تبلغ سنها ، لكثرة اهتمامها بأخبار النـاس ولاغتباطها بالمصائب التى تحل بهم . قلت على سبيل الدعابة : وأنت يا عليّة هل حللت محل سونيا فى قلب فتحى؟ صاحت : آه يا عزيزتى إنه لفتى متعب يغيظنى فيـه كثرة تيهه ودلاله كأنما الأوضاع معه قد انعكست ، فصرت أنا الفتى وأصبح هو الفتاة . قالت : خير لك أن تستبدلى به صديقاً آخر لأن مثله لا يؤمن له جانب بعد تصرفه القبيح مع سونيا . صاحت : ولـكن سونيا تستحق ما حدث لها يا عزيزتى إذ هى فتاة لا تطاق بغرورها وقلة أدبها ، ثم أضافت وهى تتنهد : وإنى أحبه . وهنا رأيت سيارة أخرى من خطنا مقبلة فاستأذنت وصعدت فيها وأنا آسفة من أجل عليّة التى سوف يحل بهـا ما حل بسونيا على يدى هذا الفتى الغر الوصولى ... أما سونيا فسوف أكتب لها الليلة أعزيها فى أبيها .

٦ يناير — ورد إلىّ كتاب شـكر رقيق اليوم من سونيا

وكنت قد كتبت لها أعزيها من يومين ... وهو كتاب طويل حاولت فيه الفتاة المسكينة أن تعتذر من حادث النادى قائلة إنها كانت وقتئذ تحت سلطان الغيرة اللعين ... ثم تحدثت عن نذالة فتحى معها . . لا أدرى لماذا تذكر لى سونيا كل هذا وما كنت صديقتها الحميمة يوما بل علاقاتنا لم تتعد المعرفة التى تنشأ عادة بين أعضاء ناد واحد . . على كل حال إنى لأرثى لهذه الفتاة من كل قلبى راجية الله أن يبعث لها بخطيب طيب لطيف مثل عزيزى أحمد . ولكن ترى هل هناك من يماثل أحمد فى صفاته ، إنى لأشك فى ذلك ، إن أحمد فريد بين الشبان . .

٧ منه — (فى ساعة متأخرة من الليل) .

قلت لأحمد اليوم يحسن بنا أن نقلل من لقائنا لأن عليه أن يلتفت إلى دروسه التى أهملها فى الأيام الأخيرة ، سنتقابل مثلا مرة أو مرتين فى الأسبوع . . . ولكنى تعبت حتى أقنعته بهذا الرأى لأنه كان يعارضنى قائلاً : إنى لا شك رغبت عنه والله يعلم كم أرغب فيه ! . . بل كم يضايقنى هذا القرار . . . اتفقنا أيضاً على أن نذهب يوم الأحد القادم — يوم عطلتى — إلى الأهرام لنتغدى هناك ، ستعد أمى لنا غداء خفيفاً

مناسباً نأخذه معنا فى سلّة . . . إنى جد تواقة إلى هذه الرحلة لأنى أحب الأهرام إذ أتذكر فى خلالها ذلك الماضى الفرعونى المجيد . . . كم وددت أن أعيش فى ذلك العهد لأركب زوارق خفيفة من البردى ، وألبس نعالا رقيقة من اللوتس وأسمع الناس يتكلمون حولى بتلك اللغة العجيبة (لغة العصافير) . . . ولكن ما لك وهذه الأفكار الغريبة يا سميحة . ؟ إنك لم تطالعى الليلة شيئاً عن مصر القديمة ، بالعكس أنت قرأت أندريه چيد الذى يحضنا على نبذ الماضى والتشبث بالحاضر بل باللحظة الماثلة ، كما يطالبنا بالتمتع بالحياة إلى أقصى حد .

☆☆☆

٨ منه — أن أمكث بضعة أيام دون أن أشاهد أحمد — حسب اتفاقنا — هذا عذاب شديد لى ، بل هو عذاب جدير بمملكة (بلوتون[١]) لذلك بادرت اليوم إلى التحدث إليه فى التليفون فى بيت صديقه مدحت الذى يشاركه المذاكرة . سألت أولا عن مدحت هـذا فلما جاءنى على التليفون رجوته أن يوصلنى بأحمد . يبدو لى من رد هذا الصديق أنه

---

(١) سيد جهنم (فى الميثولوجيا) .

لطيف ومؤدب ، وصـــوته رقيق فى التليفون — ويحك يا سميحة ألا يكفيك شاب واحد ؟ — ثم كلمنى بعد دقائق أحمد سائلاً فى تهكم عما استجد من الحوادث الجسام حتى أستقدم الموعد الذى كنا اتفقنا عليه ، قلت مرتبكة : رأيت أن أعرض عليك مساعدتى فى شأن تفهم النصوص الفرنسية للقانون المدنى . فأنا أعلم بضعفك فى الفرنسية . قال ضاحكا : حقاً هى مساعدة قيمة تلك التى تقدمينها . كيف لم أفكر فيها قبل الآن ؟ ألف شكر يا أستاذتى سميحة ولكن أين تريدين أن يكون الدرس؟ قلت : حيثما شئت . قال : أتريدين أن تأتى إلى هنـا ؟ صحت : أمجنون أنت ! إن فى حضورى إحراجاً لصديقك. قال : بالعكس سيسره الاستماع إلى أستاذة فى علمك ولطفك وجمالك . قلت : أشكرك يا عزيزى على كل هذا الاطراء ، أما عن الحضور إلى بيت مدحت فهذا غير لائق . قال : إذن أين أقابلك ؟ قلت: حيثما شئت . قال : إذن قابلينى فى قهوة كذا بميدان الجيزة ، فهى تكاد تكون خالية من الرواد فى النهار كما أن لها حديقة صغيرة نستطيع أن ننعم فيها بشمس يناير اللطيفة . .

ذهبت إلى القهوة فوجدت أحمـد جالساً هنـاك ومعه

شاب آخر هو لا شك صديقـــه مدحت فعجبت لسرعة حضورهما لأنى كنت أقرب إلى الجيزة منهما عندما تكلمت فى التليفون . ولما سألت أحمد عن السبب فى حضورهما بمثل هذه السرعة أشار نحو صديقه قائلا : الفضل فى هذا يرجع إلى مدحت يا عزيزتى فقد أحضرنى فى سيارته ، ثم قام بمراسيم التعارف بيننا . مدحت شاب كما تخيلته ، لطيف مؤدب ولكنه دون أحمد جاذبية ولو أنه أرشق منه قواماً . . صحت : الآن هلمّا إلى العمل ثم التفتّ إلى أحمد قائلة : هل أحضرت «الكود» الفرنسى ؟ قال أحمد : أجل يا أستاذة ، قلت : أرنى المواد التى يصعب فهمها من حيث اللغة طبعاً . و بينما شرع أحمد يتصفح «الكود» قال مدحت: حقاً يا لنابليون من رجل عبقرى ! لم تكفه الفتوحات العظيمة التى قام بها حتى شغل نفسه بوضع القوانين ، يقول المؤرخون إنه كان يشرف بنفسه على أعمال اللجنة التى عنيت «بالكود» كما كان يتدخل فى بحوثها ومناقشاتها، قلت : أما أنا يا أستاذ مدحت فلا أشاركك الإعجاب بنابليون بعد الذى قرأته عنه نقلا عن أديب فرنسا الكبير أناتول فرانس. فقد قال إن نابليون كان دعياً فى العلم حتى خطبه ورسائله كان هنالك من يكتبها له . بالاختصار فرانس

يسميه مهرجاً . قال مدحت : ولكن ما رأيك فى حروبه المجيدة ؟
قلت : كانت وبالا على أمته فقد أرهقت فرنسا واستنفدت دم
شبابها المسكين ، حقًّا ما كان أصدق الدوقة دلبانى حينما قالت
عن أم ناپليون : هذه المرأة هى أعظم البطون جرما فى النصرانية .
قال : على كل حال لقد كسا ناپليون فرنسا حللا لاتبلى من المجد .
قلت : لكن العبرة بالنهاية ألم يضيع كل شىء فى آخر الأمر تاركا
بلاده فى غاية الذل والفاقة ؟ هنا صاح أحمد : ويحكما يا صاحبىَّ .
إننا لم نجتمع للتحدث عن ناپليون بل لندرس نصوص
« الكود » هيا إلى العمل يا أستاذة سميحة. إليك الفصل الخامس
من « الكود » هلا تفضلت بقراءته ؟ ثم ناولنى إياه فرأيتنى
أقرأ ما يلى : الواجبات التى تنشأ عن الزواج ، المادة ٢٠٣ :
يتعهد الزوجان بموجب الزواج بسد حاجة أطفالهما وتربيتهم ،
المادة ٢١٣ : على الزوج حماية زوجته كما أن على الزوجة إطاعة
زوجها . المادة ٢١٤ : الزوجة مضطرة إلى الإقامة حيث يكون
الزوج . هنا توقفت عن القراءة صائحة : ولكن هذه المواد
صريحة يا صاحبى لا لبس فيها . فأجاب أحمد مستضحكا : إنى
طلبت منك قصدا قراءة هذه المواد يا عزيزتى لتعلقها بالزواج

لأنك ستصبحين عن قريب إن شاء الله زوجة فيجب أن تكونى ملمة بحقوقك وواجباتك . احمر وجهى خجلاً لدى سماعى هذا التعليق ثم قذفته « بالكود » صائحة : أتريد أن تتظرف على حسابى . ثم تدخل مدحت قائلاً : الأولى بكما مراجعة الشريعة الإسلامية فى هذا الصدد . فقال أحمد وهو يشير إلىّ: الآنسة ثقافتها أوربية فلا تفقه مع الأسف شيئاً فى الشريعة. ثم عاد مدحت فقال بعد ما هدأت العاصفة – إذ يلوح لى أنه من الشبان الذين لا طاقة لهم بالمذاكرة : إنى أستأذن منكما الآن لأنى على موعد فى القاهرة . هل لكما فى العودة معى أم تؤثران البقاء هنا واستئناف هذا الدرس العجيب ؟ فأجاب أحمد : شكراً يا أخى سنبقى هنا لأنى أريد أن أبث خطيبتى الغرام فى هذا المكان البعيد عن الرقباء، أليس كذلك ياحبيبتى؟ صحت ضاحكة: أو ما كفاك تظرفا اليوم ؟ ثم صعد مدحت إلى سيارته وانطلق بها بينما عدنا نحن إلى «الكود» ولكن بجد هذه المرة، و بعد فترة من الزمن قضيناها فى العمل ، تناول كل منا فنجاناً من الشاى أنعشنا وأزال عنا تعبنا ثم رأينا أن نتريض قليلا فى تلك الضاحية اللطيفة قبل أن نعود إلى القاهرة

وضجيجها ، فمشينا طول شارع الجيزة حتى إذا بلغنا الكوبرى الانجليزى ، صعدنا فى الترام قافلين .

حقا قضينا يوما مفيدا ممتعا ! . . اتفقت مع أحمد على أن أقابله هنا فى الغد

٩ يناير — استطعت الذهاب مبكرة بعد ظهر اليوم إلى القهوة التى اتفقت مع أحمد على لقائنا فيها . ذلك لأن عملنا فى المكتب قليل فى هذه الأيام لتغيب رئيسنا فى الخارج بأوربا ، فطلبت فنجانا من الشاى وجعلت أتصفح فى نشوة أحد مؤلفات صديقى فرانس فوقع نظرى على هذه الجملة البديعة :

يحقق العالم دائما أحلام الحكماء ولو على مهل .

صحت فى حسرة : مسكين يا فرانس . ما أبعد أحلامك عن التحقيق ! ها هى إنسانيتك التى طالما عطفت عليها يدفعها المجانين نحو الهاوية .

صاح أحمد وكان قد حضر فى هذه الأثناء : واشقوتاه ! ها هى خطيبتى قد جنت . إنها تحدث نفسها . أجبته : كم أود أن أجن حقا بشرط أن أستطيع أن أكتب شيئا مثل هذا . وأين مدحت ؟ قال : أتفتقدينه إلى هذا الحد ولما ينقض يوم كامل على

تعارفكما . قلت : لم لا ! إنه شاب لطيف جداً — ثم فى تهكم — أرجو ألا يضايقك ثنائى عليه قال: بالعكس. بالعكس يا عزيزتى. إنى لأشاركك هذا الثناء على صديق مثله . سكت قليلا ثم عاد فقال : على فكرة مررت اليوم به فوجدته مريضا . قلت : وبم يشكو ؟ قال : من الانفلونزا . قلت : هذا سوء حظ لنا لأنه كان فى استطاعتنا أن نذهب فى سيارته لدى رحلتنا إلى الأهرام. أتستطيع أنت قيادتها ؟ قال : لا أعرف وأنت ؟ قلت : ولا أنا . والواقع أنى أجيد قيادة السيارات ولـكنى تظاهرت بالجهل لأنى لو قدتها وحدث لهـا أى حادث فأنا ملزمة بإصلاحها وهذا ما لا تسمح به مع الأسف ماليتى الآن . قال : نستطيع أن نؤجل الرحلة إلى الأسبوع القادم حتى يشفى.. صحت : لا يا عزيزى إنى أحب أن أتنزه فى يوم عطلتى . قال : لنذهب إذن إلى مكان آخر قريب . قلت : كلا. إنى مشتاقة إلى زيارة الأهرام. قال:هل تعلمين يا سميحة أنى أصبحت أخاف منك، إذ أخشى أن تكونى قد تقمصت إحدى تلك الأرواح الفرعونية التى ترقد أجسادها هناك كبنت خوفو أو بنت منقرع ؟ ذلك من كثرة حنينك إلى تلك المقابر. قلت : أما كفاك هراء يا عزيزى ، والآن ما ذا تريد أن

تشرب ؟ أقهوة أم شاياً مثلى ؟ وكان الخادم قد أقبل فى هـذه الأثناء فطلب أحمد منه شايا ثم صحت : والآن هيا إلى العمل قال: اليوم مع الأسـف الشديد لست فى حاجة إلى مساعدتك يا أستاذتى سميحه إذ علىّ أن أراجع درس هذا الصباح فى الجامعة لأنى لم أفهم بعض ما ورد فى القانون الجنائى . قلت: حسناً وأنا أعود إلى فرانس . قال : هل تعلمين يا سميحة أن التطريز قد يكون خيراً لك بكثير من القراءة لأن الطفل سوف يحتاج إلى كثير من الملابس . قلت: أى طفل؟ قال : طفلنا طبعا يا عزيزتى. صحت : أما نهيتك عن الخوض فى مثل هذه الموضوعات المملة ؟ والآن كفى ثرثرة ، هيا إلى العمل ، ثم ناولته كتابه وأرغمته على المذاكرة كما عدت أنا إلى مطالعتى الشائقة .

١٢ منه -- قمنا اليوم أحمد وأنا برحلة الأهرام حيث تغدينا على أطلال المعبد الصغير القائم بجوار الهرم الثالث ، ثم ذهبنا إلى أبى الهول الذى رفعوا عنه الرمال حـديثاً ، الأمر الذى لا أقره لأنه بدا بهذا العمل خالياً من ذلك الجو الرهيب الذى كان يحيط به . . . كانت الشمس أيضاً بديعة حتى أننا أحسسنا بالحر أثناء المسير على الرغم من برودة الجو . . . حقاً . . . أن

أجدادنا المصريين القدماء كانوا على حق حينما قدسوها . . .
كذلك الهواء كان جميلاً إلى حد أننا شعرنا بالجوع ثانية
ولما نغادر المكان ؛ لذلك لم نكد نصل إلى القاهرة حتى
ذهبنا إلى مقهى حيث التهمنا « شاياً كاملا » . تبادلنا أحمد
وأنا عدة قبلات فى أثناء هذه الرحلة . . . ولكن أحمد غاظنى
بعدم مبالاته بالعاديات المصرية . . . رب كيف لا يشعر أمثاله
بالإعجاب بهذه الآثار الجميلة ؟ . . .

١٣ منه — إننى جد حزينة إذ شاهدت هذا الصباح أحمد
يسير فى الشارع محتضنا ذراع فتاة سمراء . . . وكانت تبدو
عليهما آثار الغبطة . . . أحمد لم يرنى ... ترى هل أفاتحه فى
الأمر ؟ ... ولكن ما الفائدة من ذلك ؟ إنه سوف يزعم أن الفتاة
زميلة له فى الجامعة لا أكثر ولا أقل ... ولكنها على جانب من
الرشاقة ، لذلك من الجائز جداً أن تكون هناك علاقة عاطفية
بينهما ... كيف يتاح لى معرفة الحقيقة ؟... إن الشك يعذبنى ...
آه لو كان فى استطاعة الإنسان قراءة ما فى صدر أخيه ...

١٥ منه — بدت فى سماء ودنا الصافية السحب القاتمة
الأولى ، وذلك من أجل تلك الفتاة التى رأيته يمسكها من

ذراعها فى الشارع منذ ثلاثة أيام ، إذ سألته عنها فقال لى ما كنت أتوقع أن يقول : إنها زميلة بالجامعة . قلت : أليست هناك علاقة عاطفية بينكما ؟ قال : كلا . قلت : وفى الماضى ؟ ... قال : ولا فى الماضى . قلت : أرجو أن تصدقنى القول يا عزيزى لأننا نحن معشر فتيات اليوم أبغض شىء إلينا هو الكذب . قال : وأنا أرجو أن تكونى أكثر ثقة بى ... ثم جذب يدى إلى فمه وطبع عليها قبلة حارة .

١٦ منه – حدث ما كنت أخشى أن يحدث فقد تلقيت صباح اليوم الرسالة العجيبة الآتية : آنستى المحترمة :

هل لى أن أراك غداً – أى اليوم — فى الساعة السادسة والربع لدى محطة المترو النهائية بشارع عماد الدين ؟ إنى اخترت هذا الموعد لعلمى أنك لاتنتهين من عملك قبل الساعة السادسة ... — حقاً أنها جد مطلعة على حياتى الخاصة — أرى ألا ضرر هناك من أنك لا تعرفين شكلى كى تهتدى إلىّ ... فأنا أعرفك جيداً . والموضوع الذى أريد أن أحدثك فيه يتعلق بأحمد ... لذلك سوف لاتبخلين بالحضور لأنك كما أعلم شديدة الاهتمام به

الإمضاء « س »

قلت أخاطب نفسى : لا شك فى أن الرسالة من الفتاة السمراء التى شاهدتها مع أحمد فى الشارع . . . اللهم إلا إذا كان أحمد زير فتيات . . . ماذا أفعل ؟ هل أذهب أو أمزق الرسالة ؟ . . ثم هل أحمد خدّاع إلى هذا الحد ؟ . . . ولكن لو تخلفت عن الذهاب عذبنى الشك ، وربما ظنت هذه الفتاة أنى أخشاها . . . لذلك صممت على الذهاب ، فلم يكد يأذن الموعد حتى كنت أنتظرها عند محطة المترو . . . ولقد كان ما توقعت أن يكون : صاحبة الرسالة هى الفتاة السمراء التى شاهدتها مع أحمد . . . تقدمت منى لحيتنى ، دون أن تعرّفنى مع ذلك باسمها ، ثم عرضت علىّ أن ندخل «الأمريكين» — فرع عماد الدين — لأن البرد وقتئذ كان شديداً فى الخارج ، فقبلت . . . ثم جلسنا هنالك إلى مائدة منعزلة فى الدور الأول . . . تأملت الفتاة ونحن نصعد السلم فوجدتها على جانب من الرشاقة ، كما أن سمرتها ليست شـــديدة بل معقولة . . . وشعرها فاحم جميل ولكنه يميل مع الأسف إلى التجعّد ، أما ذوقها فى الملبس « فبلدى ». كذلك لم أخل أنا فى أثناء هذا من نظراتها الناقدة .

بدأت هى الحديث فقالت فى ابتسامة متكلفة : آسف يا آنسة

أن كنت أزعجتك ، ولكن لقاؤنا كان لابد منه لأننا نحن الاثنين
مع الأسف نحب شخصاً واحداً . . . نحب أحمد . . . على أنى
أنا أحبه قبلك بزمن طويل فلى عليه والحالة هذه ، حق الأولوية
كما نقول نحن معشر القانونيين . . أما أحمد نفسه فهو مع الأسف
يؤثرك علىّ . . . فتنته بأدب سلوكك العالى ، بأناقة ملابسك
بيديك الناعمتين . . . فقاطعتها قائلة فى غضب : ما هذا التهكم ؟
إذا استمر حديثك على هذا النمط فإنى أنسحب . . . قالت : أنا
آسفة جداً لم أقصد أبداً أن أتهكم عليك ، إذ أنت فعلا من
وسط أرقى بمراحل من وسطنا أحمد وأنا ... هذا ما كنت
أقصد أن أقول ، أما إذا كان الكلام الطويل يضايقك فإنى
أوجز طلبى فى كلمة واحدة ألا وهى أن تبتعدى عن أحمد .
قلت فى برود : آسف ، هذا الأمر يخصنى أنا وأحمد فقط . . .
ثم ناديت الخادم فدفعت الحساب ، ثم حييتها وانصرفت تاركة
الفتاة فى حالة دهشة عجيبة لم تمكنها من الرد . . . مسكينة أيتها
المحامية الناشئة . . . لقد خسرت قضيتك الأولى . . . مسكينة
نت أيضاً يا سميحة فلن تذوقى النوم فى ليلتك ، مع ما أبديت
ن حزم ! . .

***

١٨ منه — اليوم عيد ميلادى الثامن عشر ، كنت قد نسيته عقب الكدر الذى سببه لى حادث الفتاة السمراء . . . أمى العزيزة هى التى نبهتنى إليه ، وذلك بأن وضعت أمامى على مائدة الفطور هديتها لى . . . وهى حقيبة يد لطيفة ، كما أنها قبلتنى بحرارة فى وجنتى ، متمنية لى الصحة والهناء . . . حقاً ما أغبانى ! أحرق دمى على هذا النحو من أجل أحمد أو غيره . . بينما لى أم حنون . . . أما صديقاتى القديمات فلم تتذكر واحدة منهن هذا العيد . . . حقاً . . . ما أعجب أمرهن ألأنى أصبحت فقيرة لم يعد لى حق الاحتفاء بعيد ميلادى ؟ . . .

كلمنى أحمد بعد ظهر اليوم بالمكتب مهنئاً إياى بعيد ميلادى ثم قال أيضاً إنه سوف ينتظرنى لدى انصرافى من العمل فى منتدى الشاى الذى اعتدنا الذهاب إليه فى الأيام الأول . . . ذهبت هناك فوجدته فى انتظارى ، وكان على جانب عظيم من البشاشة . حيانى فى حرارة ، ولكنى رددت تحيته فى فتور لأنى لم أستطع الضغط على أعصابى التى كانت تغلى من الغضب لكذبه . ولكن أحمد نسب تغيرى إلى التعب إذ قال : هل تشعرين

بشيء من التعب يا عزيزتى ؟ هل لك فى « أسبرين » ؟.. قلت : كلا. أشكرك . . . قال مبتسما : هل تعلمين أنى أحضرت لك هدية فاخرة ؟ . . قلت : حقاً ؟ . . أشكرك على ذلك . . ولكن أنا أيضاً أحضرت لك هدية . . . قال متعجباً : وبأية مناسبة أحضرت لى هدية يا عزيزتى ؟ . . قلت : لأوكد لك محبتى . . فتهلل وجهه صائحاً : حقاً يا لك من فتاة لطيفة . . . ثم أخرج هديته من جيبه فإذا هى زجاجة عطر عالى الثمن ولكنه بعيد عن الذوق . . . فتسلمتها منه شاكرة ثم قدمت له بدورى هديتى التى لم يكد يطلع عليها حتى امتقع وجهه إذ لم تكن هذه الهدية سوى ذلك الكتاب الذى وردنى من فتاته السمراء . . . قلت : ما رأيك فى هديتى ؟ . . .

— رأيى أنه لم يكن مناسباً إثارة مثل هذا الموضوع فى يوم سعيد كيوم عيد ميلادك

— قلت لك مراراً أنى أحب الصراحة فلو كنت صدقتنى القول منذ البداية لما غضبت منك . . .

— أقسم لك يا سميحة أنى لم أكن كاذباً حينما ذكرت لك أنى

لا أحب هذه الفتاة . . . وأن العلاقة بيننا لا تتعدى الزمالة في الدراسة .

— ولكنها تحبك . . .

— فليكن ، ولكنى لا أشاركها هذا الحب . . . أقسم لك بهذا للمرة الثانية . . .

— حسن سأصدقك إلى أن يثبت العكس . . .

أراد بعد ذلك أن يطلب قدحين من « الويسكى » قائلا : إن الخمر سوف تبدد ما حدث من سوء تفاهم ... فقلت : لا بأس من ذلك . . . ولكنى أفضل « البورتو » على الويسكى فطلب عندئذ قدحين من البورتو قائلاً إنه يجهل هذا المشروب فقلت له : إنه نوع من النبيذ الحلو . آه لو سمعه أصدقائى السابقون من حىّ الزمالك يقول ذلك لما خلا أبداً من سخريتهم . وقد التهمنا مع هذا البورتو عدة فطائر لذيذة . . . مسكينة يا سميحة . . . هذا حال الدنيا ، إقبال ثم إدبار ، فيما مضى كنت تحتفلين بعيد ميلادك وسط المرح والسرور فى رهط من الأصدقاء والأحباء الذين يقدمون لك فاخر الهدايا . أما اليوم فها أنت تحتفلين به فى محل حلوى حقير . . ومع ذلك فلولا حادث الفتاة السمراء لما

حزنت على تبدل الحال على هذا النحو . بالعكس ربما كنت أسعد حالاً فى قضائى الليلة على انفراد مع شخص أحبه كأحمد .

تنزهنا بعد ذلك سيراً على الأقدام، على غير هدى ، على الرغم من شدة البرد ، وكان الفضل للپورتو فى عدم شعورنا بقسوة الجو .. قبلنى أحمد أثناء الطريق فى عينى مكررا تهنئته ثم أردف قائلاً: إن عينىّ أجمل شىء رآه فى حياته . قلت : ولكن كيف أتيح لك معرفة جمال عينىّ وسط هذا الظلام الحالك ؟ ... قال : إن صورتهما المحبوبة محفوظة فى قلبى مذ أول مرة رأيتك فيها يا عزيزتى . . . قلت : أتظن حقيقة أنهما أجمل من عينىّ فتاتك السمراء ؟ قال فى غضب : ناشدتك الله ألا تعيدى هذا الحديث . .

* * *

٢١ منه — اليوم لدى انصرافى من المكتب عند الظهر وجدت تلك الفتاة السمراء البغيضة فى انتظارى ، حيتنى ثم سألتنى : هل أستطيع أن أنصت إليها قليلا ، فأجبتها معتذرة ، ولكنها ألحت قائلة : إنك أخطأت يا آنسة فى إخبار أحمد بحديثنا فى « الأمريكين » لأنه وجه لى من أجله لوماً شديداً ... فلزمت

الصمت ... عندئذ أردفت تقول وقد غاظها سكونى : لاتصدقى أحمد إن قال لك أنه يحبك ، لأن حبه لك هو فى نظره بمثابة تسلية ليس إلا . . . أما أنا فحبيبته القديمة ، أنا حبه الأول . . ألا تذكرين قول الشاعر: ما الحب إلا للحبيب الأول ؟ . . . ولما رأتنى ما زلت ملازمة الصمت ثارت ثائرتها إذ قذفتنى بكلمات شتيمة ثم انصرفت .

رباه . ما أقبح الحقد ! . ما أبغض منظر هـذه الفتاة وقد انقلبت سمرة وجهها اللطيفة إلى صفرة قبيحة ... أفسد هذا اللقاء مزاجى ولم أعد إلى طبيعتى إلا بعد أن رأيت وجه أمى المشرق الضاحك ، فقد محت نظرتها الرقيقة لى صورة تلك الفتاة التى كانت قد تحولت إلى حيوان مفترس بغيض ...

✡ ✡ ✡

اليوم نفسه فى الليل —

لا أظن أن أحمد برىء كل هذه البراءة التى يدعيها فى أمر الفتاة السمراء ، لأن الفتاة المذكورة لا يمكن أن تفتعل كل هذا الانفعال بدون سبب . . .

رباه . . . لماذا أقع فى حب شخص كذوب كأحمد ؟ . . .

فضلا عن أنه ليس من وسطى أو أصلى ... إن مثله لا يتورع فى حالة زواجى منه من أن يجلس إلى مائدة الطعام وهو «بالجلبية» أو من أن يأكل بأصابعه ... ولكن ما ذا أفعل وقلبى مدلّه بحبه ؟ ...

٢٤ منه — زارنا ظهر أمس محمد بك بمنزلنا بالسيدة . لم أكن هناك مع الأسف لدى حضوره إذ كنت فى عملى ، وقد قال لأبوى إنه تألم كثيراً للكارثة التى لحقت بنا ثم عرض على أبى مساعدته فى هذا الصدد قائلا: إنه ربما أمكنه تسوية المسألة لدى البنوك بضمانه الشخصى، فأجابه أبى بأن المسألة مع الأسف انتهت الآن ، ثم شكره على أريحينه وشعوره النبيل ... حقاً ... إن ظنى فى محمد بك لم يخب فهو سيد بكل معنى الكلمة ... ثم سألهما عنى مستفسراً عن صحتى وأخبارى ولما علم بأننى أشتغل تأثر قائلا إنه يخشى أن يرهقنى العمل فيذهب بنصارتى و يقضى على طلاوتى حقاً... دهشت لصدور مثل هذا الكلام من محمد بك لأنه لم يلتفت من قبل إلى شكلى إذ لم أكن فى نظره . . . إلا مجرد طفلة ... ثم أبدى رغبته فى مشاهدتى فدعاه أبى إلى تناول الغداء معنا اليوم ... وقد حضر فعلا محمد بك اليوم فى الموعد المحدود

وأحضر لى معه علبة كبيرة من الكستناء المسكرة وهى هدية ثمينة فرحت بها كل الفرح لأنى أحب هـذا الصنف من الحلوى ولا أستطيع شراءه الآن لفداحة ثمنه . . أثنى محمد بك على شكلى وهندامى أثناء الطعام قائلا إننى كلما نموت ازددت رشاقة وفتنة ثم تحدثنا عن الجو فاشتكت أمى من قسوة الشتاء هذا العام ، فعرض علينا محمد بك قضاء بقية هذا الفصل فى عزبته بالصعيد حيث الجو دافىء لطيف .. فاعتذر أبواى شاكرين — من أجل عملى أنا — ولو أنهما فى قرارة نفسيهما كانا يميلان إلى تلبية هذه الدعوة لشدة محبتهما لمحمد بك . ولما انتهينا من تناول الطعام ثم القهوة صحبنى محمد بك فى سيارته «البكار» الفخمة التى كان يقودها بنفسه إلى مكتبى وفى أثناء الطريق رجوته أن يقف قليلا أمام إحدى المكتبات لأقتنى كتابا ظهر حديثاً عن أناتول فرانس فقال محمد بك أثنـاء اشتغال العامل باحضار الكتاب : هل أنت مغرمة إلى هذا الحد بأناتول فرانس ؟ قلت : ومن ذا الذى لا يحب ذلك الإنسان العظيم الذى كان قلبه يفيض شفقة على بنى آدم التاعسين ؟ قال : أنت على حق، إن أناتول فرانس كان أيضاً ذا ذكاء نادر. ولكن محمد بك تأسف فى الوقت نفسه لأننا

معشر الفتيات المصريات العصريات لا نطالع الكتب العربية مردفاً أن بعضها يضارع المؤلفات الفرنجية بل يسمو عليها . قلت : إن اللوم فى هذا يقع على المعلم العربى الذى لا يحببنا فى تلك الكتب ، ويقع هذا اللوم على الناشر عندنا لعدم طبعه الكتب العربية طبعاً أنيقاً مغرّياً كما يفعل الأوربيون . ولما بلغت السيارة المكتب ، سألنى محمد بك : هل أستطيع مقابلته ثانية لدى انصرافى من العمل لأنه يود أن يحدثنى فى أمر هام ، فأجبته طبعاً إلى رغبته إذ من ذا الذى يستطيع أن يرفض طلباً لسيد كمحمد بك ؟

سألنى محمد بك وسيارته الضخمة تنهب بنا الأرض نهباً فى طريقها إلى أهرام الجيزة إذا كنت أرضى به زوجاً، مردفاً أنه أحبنى لأول مرة رآنى فيها وذلك على الباخرة يوم كدت أسقط — أثناء العاصفة — على الأرض لولا أنه انتشلنى بساعده القوى. ثم سكت ملياً وعاد فقال : كذلك أرجو ألا تظنى أننى مدفوع فى هذا بالكارثة التى حلت بكم ... فقاطعته قائلة : ماذا تقول يا محمد بك؟ أنت سيد ، إن مثلك لا يستغل الظروف ... فربت على كتفى قائلاً : شكراً شكراً . إنى أريد أيضاً أن

ألفت نظرك إلى شيء آخر مهم، ألا وهو تفاوتنا فى السن... فأنا فى الأربعين بينما أنت لم تتجاوزى الثامنة عشرة، ولو أن هذا التفاوت فى السن قد يجعل منى زوجاً رزيناً لا يهجر زوجته كما يفعل فتيان اليوم... ولما رآنى ساهمة أردف قائلا: إنه لا يطلب رداً سريعاً بل علىّ أن أتريث قبل النطق بنعم أولا: لأن الأمر خطير يحتاج إلى تفكير .. وهنالك مع الأسف كثيرات يتزوجن أولا ثم يشرعن فى التفكير... ثم عاد فقال: إنه مسافر فى الغد إلى الإسكندرية لأعمال مالية على أن يعود منها بعد أسبوع فيرجو أن يحصل إذ ذاك على جوابى ... ثم عاد فسألنى: هل كان قلبى مشغولا بشخص آخر ؟ ... فأجبته بالنفى. ويحك يا سميحة ألم تعودى تحبين صديقك أحمد ؟ .

***

اليوم نفسه ليلا —

لا يرغب النوم فىّ كما أنى لا أرغب فيه فأنا مشغولة البال بما عرضه محمد بك ... ترى ماذا أفعل ؟ ... أيهما أختار ؟ ... أحمد أم محمد بك ؟ ... لولا حكاية تلك الفتاة السمراء البغيضة لما ترددت فى اختيار أحمد مع علمى بأن الحياة معه ستكون

حافلة بالمتاعب المادية لأنه غير ميسور ، بل عليه أن يسعى قبل الزواج للحصول على عمل لائق بعد تخرجه فى الجامعة وهو أمر صعب التحقيق فى زماننا هذا الذى تفشت فيه المحسوبية فحجزت الوظائف الملائمة لأبناء العظماء وأصهارهم وأقاربهم ... ولكن من جهة أخرى سأحيا مع أحمد حياة لذيذة مرحة كلها ضحك ولعب ، لتقارب عمرينا ... حقاً سأتمتع بشبابى معه كل المتعة فما أجمل عينيه الخضراوين اللتين تضارعان أثمن ما هنالك فى العالم من زمرد ... أما محمد بك فحياتى معه ستكون حياة بذخ ... حياة تصفر لها حسداً صديقاتى السابقات من حى الزمالك اللواتى يعرضن عنى اليوم ... ثم إن محمد بك من بيئتنا كما أنه شركسى الأصل مثلنا وليس محمد بك دميما بل ملامح وجهه تنم عن النبل والرجولة ، أليس هو شبيهاً لنجمى المفضل جارى كوبر ؟ أما العمر ، فمحمد بك ليس بالرجل الطاعن فى السن ... بل هو كهل فقط تجاوز الأربعين قليلا ومع ذلك أليست هناك عشرون عاماً تفصلنا ؟ . . أليست هى نفسها عمراً ثانياً ؟ رباه كيف التصرف؟ لو كنت رجلاً لأنهيت المشكل بالاحجام عن الزواج .. لكن

نحن معشر النساء لا يسمح لنا بالعزوبة فالمرأة العانس هى موضع تهكم الناس وسخريتهم ...

أيهما أختار وكلاهما عزيز لدىّ ؟ فمحمد بك تطمئن إليه نفسى ، أما أحمد فقلبى يناديه ... على كل حال أمامى فسحة من الزمن لكى أفكر فى الأمر مرة أخرى ... حقاً . . يحزننى أن ليست لى أخت أستشيرها فى الموضوع ، أما أبواى فلا فائدة من استشارتهما فى ذلك لأنهما متحيزان كل التحيز لمحمد بك . بل إن زيارته الأخيرة التى أظهر فيها كثيراً من الاهتمام بى قد أحيت من آمالهما .

***

٢٥ منه — حلمت طول الليلة الماضية بهذا الموضوع : رأيتنى ويا للعجب أجلس على مقعد وثير فى غرفة الاستقبال الكبيرة بمنزلنا القديم بالزمالك وفارساى أمامى يتنابذان من أجلى ثم شرع كل منهما يجذبنى من ذراعى نحوه ، ولكن محمد بك هو الذى فاز بى فى النهاية فتبعته . . . ها هو ذا عقلى الباطن يختار لى . . . ترى هل أتبع هذا الاختيار ؟ ولكن لماذا لم أشعر فى الحلم بالسعادة حينما ظفر بى محمد بك ؟ لماذا كنت أنظر فى حسرة

ورائى شاخصة نحو أحمد ؟ حقاً . . . لقد تعبت من هذا الحلم كل التعب . إذ قمت اليوم من نومى منهوكة القوى وقد لاحظت أمى علىّ ذلك فظنتنى مريضة ثم أرادت أن تصرفنى عن الذهاب إلى العمل ولم أستطع الخروج إلا بعد جهد ، بعد أن أثبت لها أنى غير مريضة وذلك بقياس حرارتى أمامها .

قابلت أحمد بعد ظهر اليوم لدى انصرافى من العمل . ولكنه لم يمكث معى طويلا لأنه مشغول هذه الأيام بمرافقة قريب مريض من الريف وفد إلى القاهرة لاستشارة بعض كبار أطبائها فى مرضه . وكان أحمد ساخطاً من هذه المهمة الثقيلة التى تصرفه عنى وعن الدراسة . قلت له ضاحكة : أظن أنك ترغب فى موت الرجل كى تتخلص منه ؟ قال : بالعكس لو مات تفاقمت مصيبتى إذ أكون ملزماً بمرافقة جثمانه إلى البلد ، ثم وجب على بعد ذلك أن أحضر ليالى المأتم الثلاث التى قد أشرب خلالها من القهوة الرديئة ما يؤرقنى بقية عمرى . . حقاً أن أحمد على الرغم من عيوبه ، فتى خفيف الظل ، لم أخبر أحمد بمقابلة فتاته السمراء لى للمرة الثانية ، إذ أية فائدة ترجى وراء ذلك ؟ .

قرأت اليوم فيما قرأت هذه الجملة الحكيمة «إذا أحببت فأغمض عينيك» . . ترى هل تمكننى أعصابى من أن أتبعها ؟ .

٢٦ يناير — لمحت مدحت صديق أحمد لدى خروجى بعد ظهر اليوم من المكتب ، وهو يقود سيارته فأشرت إليه فتوقف ، سألنى عن أحمد قائلا إنه لم يره من عدة أيام ، فقلت : إنه مشغول بمرافقة قريب وفد عليه من الريف ثم أردفت قائلة : كنت أحب أن أحدثك فى موضوع بسيط لا يشغل وقتك طويلا فهل هذا ممكن الآن ؟ قال : وهل أستطيع أن أرفض لك طلباً يا أستاذتى الفاضلة ؟ إننى رهن إشارتك . قلت : شكراً جزيلا ، إلى أين كنت تذهب الآن ؟ قال : فى مهمة بسيطة بمصر الجديدة تتلخص فى أنى أترك هذه الحقيبة فى بيت أختى التى تقطن هناك . فإن شئت رافقتنى فى هذه الرحلة ، هى نزهة لطيفة ، وفى الوقت نفسه يكون لدينا متسع للكلام فى أثناء الطريق . قلت : وهو كذلك ثم صعدت إلى جواره . وبينا نحن فى طريقنا إلى مصر الجديدة حدثته عن الموضوع الذى كان يشغل بالى ، وهو أمر تلك الفتاة السمراء التى تعكر صفو علاقتى بأحمد من وقت لآخر سائلة إياه : هل كان أحمد حقيقة قد أحبها

قبلى كما تدعى ؟ لأنى فى هذه الحالة أرى الواجب يحتم على أن أخلى لهـا الطريق ، و إن كانت لا تستحق هذه التضحية منى بعد ما بدا منها من عداوة وقلة أدب . ولـكن مدحت أقسم لى بأنه ليست هناك علاقة غرام بين أحمد و بينها ، فسررت جداً لذلك لأنه كان يبدو صادقا فى قوله . وكنا قد بلغنا فندق «هليو بلس هاوس» ، فنزلت عنده قائلة : سأنتظرك هنا بالشرفة إلى أن تنتهى من مهمتك لأنى أشعر بالعطش . ثم شربت هناك فنجانا من الشاى كان طعمه فى فمى أشهى من ماء الكوثر ، لمـا كنت فيه وقتئذ من راحة البال بعد تأكيد مدحت لى بأن أحمد لم يعشق يوما ما تلك الفتاة البغيضة . . . أف من الشك!

٣٠ منه — كلمنى محمد بك بالتليفون من الإسكندرية قائلا إنه قادم غداً صباحا إلى القاهرة ثم دعانى إلى تناول الشاى معه غدا فى فندق « مينا هاوس» ... ...

رباه . . ماذا أفعل ؟ إنى أحب أحمد ، لا شك فى ذلك إذ أن قلبى سريع فى نسيان هفواته ... أظن أن واجبى نحو نفسى يقضى أن أختاره هو . مسكين محمد بك سوف يحزن حزناً عميقاً حين يعرف ذلك ... رب لماذا تعرفت بذلك الشيطان أحمد

ذى العينين الخضراوين الساحرتين ؟ إذ لولاهما لما فضلت رجلا فى العالم على محمد بك ولو كان محمد بك يكبرنى بأربعين عاماً ... لا عشرين ...

* * *

٣١ منه — اعتذرت لمحمد بك أثناء تناولنا الشاى « بمينا هاوس » ، فبدا الحزن على وجهه على الرغم من محاولته إخفاءه ، إذ لم يكن فى الغالب يتوقع الرفض ، ثم أخبرته بقصة أحمد من أولها إلى آخرها ... قال بعد أن انتهيت من سردها : إذن لماذا قلت لى إن قلبك لم يكن مشغولا ؟ قلت : لأنى كنت صممت على محو أحمد من ذاكرتى بعد حكاية فتاته السمراء ، ولكنى رأيت بعد ذلك ، مع الأسف ، أن لا طاقة لى بهجرانه ، لأنى أشعر بالكآبة فى اليوم الذى لا أراه فيه ... قال : إذن أتمنى لك كل سعادة ممكنة يا عزيزتى كما أعدك ببذل نفوذى لدى بنك «ص» . حيث لى مصالح لتعيين أحمد فى قلم قضاياه لدى تخرجه فى الجامعة ... ثم أطرق محمد بك ملياً ثم استمر قائلا : فى الواقع يجب علىّ الاعتذار إليك عن تقدمى بطلب يدك لأنه ليس فيه غير الأنانية المجسمة من ناحيتى لأن السعادة الأبوية التى كنت

أريد أن أهيئها لك ليست هى السعادة الحقيقية ... السعادة الحقيقية لفتاة فى مثل سنك هى أعمق من ذلك ، هى الحب ... كذلك لو تزوجنا لما كانت لنا فيما بعد تلك الذكريات المشتركة التى تلطف للزوجين عهد الشيخوخة الكئيب بسؤال أحدهما للآخر: أتذكر كذا ؟ ... أتذكرين كيت ؟ . . تلك الأسئلة الرقيقة التى ترسل الابتسامة فوق الشفاه والدمعة فى الهدب . ثم أطرق مرة أخرى وقال : إنى مسافر فى الأسبوع القادم إلى أوربا لأن السفر خير علاج لأمراض القلوب ، وقد يتيح لى هذا السفر أيضاً الفرصة كى أقتنى لك من هناك هدية زواج فاخرة تليق بك، ثم انفصلنا بعد أن تمنيت له سفراً طيباً وتمنى هو لى حظاً سعيداً ...

٢ فبراير — قال لى أبى اليوم بعد انتهائى من تناول طعام الغداء عند ما هممت بالذهاب إلى حجرتى كالعادة حيث كنت أقضى وقتاً قصيراً فى المطالعة وأنا مستلقية على ظهرى فوق السرير وذلك قبل عودتى إلى عملى : هل لى أن أتحدث إليك الآن ياسميحة فى موضوع مهم ؟ قلت: إنى كلى آذان لك يا أبى . هنا أرادت

أمى أن تنسحب ولكن أبى أومأ إليها أن تبقى قائلا : إن الموضوع الذى سيتحدث عنه يخص مستقبلى ، ولما كانت أمى تشاركه أبوته لى حقّ لها بل وجب عليها أن تبقى ، ثم التفت إلىّ مردفا : اعلمى يا ابنتى أنى منذ حلت بنا هذه الكارثة لا أفكر إلا فيك وفى أمر مستقبلك . أريد قبل أن أترك هذه الحياة الدنيا أن أراك فى مأمن من عوادى الدهر كما أريد أن أراك وقد تحررت من عملك هذا المرهق الذى أخشى أن يعصف مع الزمن بحسنك ونضارتك كما لاحظ ذلك بحق صديقنا محمد بك .

وهذه الأمنية لاتتحقق مع الأسف إلا بزواجك زيجة موفقة . وأرى أن العناية قد ساقت لنا أخيراً ذلك الزوج المنشود فى شخص محمد بك الذى أبدى مثل هذه الرغبة لدى زيارته الأخيرة وإن كانت مقنعة وذلك بكثرة السؤال عنك وشدة الاهتمام بأمرك .. قلت: بل هو صارحنى بهذه الرغبة يا أبى ولكنى اعتذرت له مع ما أكنه لشخصه من تقدير واحترام . وذلك لأن قلبى يميل مع الأسف لشخص آخر سأحدثك عنه . فوجم أبى لدى سماعه هذا القول منى لأنه ما كان يشك قط فى موافقتى

على الاقتران بمحمد بك . ثم تنهد قليلا ثم عاد فقال : هل تعلمين أنى فكرت فى مسألة اقترانك بمحمد بك منذ تلك اللحظة التى عرفناه فيها على ظهر الباخرة ؟ . . على كل حال يا ابنتى أنت أدرى بالشخص الذى يسعدك. ثم سكت قليلا وعاد فقال : ترى من ذا الذى آثرته على محمد بك ؟ . . عندئذ أخبرته بأمر أحمد وذكرت له أصله وفصله . ولما أطلعته على اسم الأسرة التى ينتمى إليها قال : إنه من بيت طيب ، غير أن الدهر قد عبس لهم أيضاً مثلنا ، ثم أبدى رغبته فى التعرف بأحمد والتحدث إليه . فقلت: هل تحب أن أدعوه إلى تناول الغداء هنا غداً مثلا . فوافق أبى على اقتراحى صائحاً : أنت طيبة و بنت حلال يا سميحة . لذلك أريد ألا بقترن بك إلا من هو أهل لك

أما أمى فلم تدهش لرفضى طلب محمد بك لأنها كانت تعلم بميلى لأحمد .

وقد اتصل بى أحمد من باب المصادفة بالتليفون بعد ظهر اليوم بالمكتب فأخبرته فى اختصار بما حدث و بأمر دعوته إلى تناول الغداء عندنا غداً فقبلها فى شىء من التردد إذ كان يبدو من ردوده أنه متهيب من لقاء أبى .

٣ فبراير — كان أحمد فى انتظارى لدى انصرافى عند الظهر من المكتب ليصحبنى إلى المنزل — إذ اتفقنا على هذا الترتيب بالأمس فى التليفون — وكان أنيقاً فى ملبسه ومظهره على خلاف المألوف ، فقد كان يهمل أحياناً حلاقة ذقنه الأمر الذى كان يغضبنى ويجعلنى ألومه وأعنفه صائحة : الحلاقة مرآة النظافة ، ألا تعلم أن بعض الانجليز يحلقون ذقونهم مرتين فى اليوم ، فى الصبح لدى ذهابهم إلى أعمالهم ، وفى المساء قبل بدء السهرة . فكان يجيبنى فى سخرية : سأحذو حذوهم يا عزيزتى حينما أتجنس بالجنسية الانجليزية . . . وقد ارتدى بذلة داكنة متقنة الكى وكذلك الطربوش . .

هالتنى هذه الأناقة غير المألوفة فيه ، فصحت وأنا أصافحه : مرحى مرحى يا صديقى لقد تجسمت فيك الأناقة اليوم ! قال : لا بد من كل ذلك ما دمتُ ذاهباً لمقابلة صهرى العزيز . ثم أراد أن يركب سيارة أجرة ، فصرفته عن ذلك قائلة : إن لدينا متسعاً من الوقت فلنذهب بالأتوبيس ، قال : لم أبغ ركوب سيارة الأجرة من أجل السرعة بل كى أحدث تأثيراً

حسناً لدى أبو يك ، إذ أخشى إن رأونا مقبلين فى الترام أو فى السيارة العامة أن يقولا إننى مفلس . . قلت : لا تتعب نفسك من هذه الناحية ، فقد أطلعتهما على كل شىء يخصك . صاح : أقلت لهما إنى مفلس ؟ أجبته : قلت ما يشبه ذلك . صاح : حقاً ! يا لها من دعاية طيبة تقومين بها لخطيبك ! ولما بلغنا المنزل استقبله أبواى استقبالا حسناً أزال عنه قلقه وتهيبه ، ثم قصدنا مائدة الطعام وهناك أخذ أبى يحدثه فى لطف و بشاشة فى شتى الموضوعات من سياسة دولية إلى سياسة وطنية حتى تدرج بهما الحديث إلى بعض شئون أحمد الحاضرة ، فسأله أبى عن أهله ثم دراسته ، وهنا استفهم عن بعض المراجع القانونية إذ كان أبى قد درس الحقوق أيضاً فى صباه و إن لم يمارسها . ثم انتقل الحديث بهما إلىّ إذ قال أحمد فى شأن المراجع القانونية تستطيع أن تسأل الأستاذة سميحة أيضاً فهى مطلعة بل عالمة فيها . ثم التفت إلى أمى مردفاً : حقاً يا سيدتى أن بنتك فتاة مثلى ، غير أنها مع الأسف متطرفة فى عصريتها آه لو كان لى مثل مالك عليها من السلطان لأرغمتها على لبس البرقع . فصاحت أمى

ضاحكة : ها أنا ذا متنازلة لك عن سلطانى عليها فهيا أرنا كيف تستطيع أن تنفذ رغبتك ؟ ثم قلت له أنا بدورى : أو ما تقلع عن التظرف ؟ و بعد ما قضينا وقتاً فى مثل هذه الأحاديث صحبنى فى طريقى إلى المكتب إذ كان الوقت قد أزف ، وكان أحمد طول الوقت يتحدث عن لطف أبوى وظرفهما قائلا إن أبى رجل فاضل بمعنى الكلمة لا تستغرب من أمثاله التضحية المالية التى كان أقدم عليها من أجل صديقه .

وفى المساء لدى عودتى إلى المنزل ، سألت أبوى عن رأيهما الصريح فى أحمد فأثنيا عليه بدورهما وقد سرّ أبى منه بوجه خاص من أجل تمسكه بالتقاليد

٥ فبراير — كانت أمى تطالع هذا الصباح إحدى الصحف اليومية كعادتها أثناء الإفطار . ولكنها توقفت بغتة عن القراءة صائحة : مسكينة سونيا صاحبتك سونيا توفيت يا سميحة . قلت مستغربة : توفيت ؟ ولكنها كتبت لى من وقت قريب ولم تكن إذ ذاك مريضة ولكن دهشتى لم تطل إذ لم أكد أصل إلى مكتبى حتى دق جرس التليفون و إذا المتكلمة عليّة و إذا بها تنعى لى

سونيا قائلة إنها انتحرت إذ ألقت بنفسها من النافذة بسبب هجر فتحى لها . حقاً أن عليّة خير خلف لحكمت هانم من حيث اهتمامها بمصائب الناس . ولكن ألم يكن أليق بعليّة عدم ذكرها حادث سونيا بعد ما حلت محلها لدى فتحى ؟ ولما أخبرت أحمد بهذا الحادث وكان فى انتظارى لدى خروجى ظهر اليوم من المكتب صاح : حقاً ما أعجب أمركن أيتها الفتيات العصريات ! إنكن تسخرن من كل شىء بل تتحدين الدهر نفسه ، ولكنكن تضعفن أمام الحب ، أنتن كأسلافكن تماما فى هذا من عهد ليلى العامرية أو ڤرتر[١] قلت : الحب مرض ولسوف يتغلب العلم عليه قريباً . قال : هذا ما أشك فيه بل أظن أنه من الأسهل إيجاد العلاج لأشد الأمراض المستعصية فتكا ألا وهو « السرطان » من استكشاف دواء للحب . قلت : بل سوف نتغلب على الحب أيضاً . سوف ترى .. ولو أنى فى سريرة نفسى كنت أشك فى ذلك ، إذ حقاً ما أضعفنا أمامه

---

(١) حينما نشر الشاعر الألمانى الكبير جوته روايته آلام ڤرتر التى انتحر فيها بطلها بسبب الحب حدثت عدة حوادث انتحار على الأثر فى أوربا بين أهل الهوى . . .

٨ فبراير — تشاجرت اليوم مع أحمد لأنى رأيته فى الصباح مرة أخرى مع تلك الفتاة السمراء البغيضة وكانا يسيران ذراعا فى ذراع ... إذ لم أستطع مع الأسف اتباع الحكمة القائلة : إذا أحببت فأغمض عينيك .. ثم كذب أرسل برقية لمحمد بك بالقبول — إذ كنت أخبرت أحمد بهذا الموضوع — ولكن أحمد حال دون ذلك إذ جذبنى فى عنف من ذراعى صائحا : أنت مجنونة ؟ ألا ترين أنى أحبك ؟ ثم وضع على فمى قبلة عميقة أرخت أعصابى فأخذت البرقية تسقط من يدى .



استفتاء عام

بمناسبة دخول سلسلة اقرأ فى سنتها الثانية رأت إدارة مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر أن تتقدم إلى جمهور القراء باستفتاء عام لمعرفة الكتاب الذى نال استحسان أكبر عدد منهم من بين الكتب التى صدرت فى السنة الأولى .

وقد خصصت جائزتين ماليتين تصرف كالآتى :

الأولى : ٧٠ جنيهاً لواضع الكتاب الذى نال الأغلبية .

الثانية : ٣٠ جنيهاً للقارىء الذى يفوز بالاقتراع من بين أسماء القراء الذين استحسنوا ذلك الكتاب

•••

تاريخ الاستفتاء ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤

شروط الاستفتاء والاستمارة الخاصة به تجدها مع الكتاب الثالث عشر الذى صدر فى أول يناير سنة ١٩٤٤

روزفلت

للاستاذ فؤاد صروف

الثمن ٣٠ قرشاً

قصة الرجــل الذى لم يستسلم !.. حارب خصومه وحارب مرضه ، وظفر بالرياسه فى أكبر جمهوريات العالم ثلاث مرات متواليه ، واشترك فى وضع ميثاق الاطلنطى ، وأعلن الحريات الأربع وأعرب أبلغ إعــراب عن آمال الشعوب فى عالم أفضل !...

◆◆◆◆

ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ظهر حديثا

ص		
١٠٠	ألف ليله وليله	للسيدة سهير القلماوى
٢٥	سلراك	للاستاد أحمد الصاوى محمد
٢٠	ست الشيطان	للاستاد محمود تيمور
٢٠	ملاقى الأكماء	للاساد على أدهم
٢٠	ألوان من الحب	للاساد عبد الرحمن صدقى
٢٠	فى سمال أفريقيا	للملازم أول السيد فرح

♦♦♦♦

ملتزم الطبع والنشر
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

مؤلفات علمية تاريخية في دراسة المدن

ص		
٨٥	بلادى	الاميرة شويكار
١٨	الاسكندرية	الاستاذ فؤاد فرج
٥٠	منطقة قنال السويس	للاستاذ فؤاد فرج
٥٠	القاهرة (جزء أول)	للاستاذ فؤاد فرج
٥٠	القاهرة (ثان تحت الطبع)	الاستاذ فؤاد فرج
٢٠	تونس الخضراء	للجنة دائرة المعارف الاسلامية
٢٥	المسجد الجامع بالقيروان	للدكتور أحمد فكرى

ملتزم الطبع والنشر

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

وثائق الحرب العالمية الثانية

للأستاذ أحمد الصاوي محمد

ص	
٢٠	مأساة فرنسا
٢٠	أسرار انهيار أوروبا
٢٠	الرقص على البارود
٢٠	الوحش الأصفر والدب الأحمر
٢٠	الطابور الأول

للملازم أول السيد فرج

١٢	هذه هي الحرب
١٥	أحاديث في الحرب (مع الصاغ محمد عبد الفتاح ابراهيم)
٢٠	حرب الصحراء المصرية
٢٠	في شمال أفريقيا

ملتزم الطبع والنشر

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

الفباء فاروق

الحروف الجديدة

رسالة الجيل الجديد لاصلاح الخط العربى
بطريقة صريحة دقيقة تساعد على الوصول
إلى الغرض المنشود فى سبيل التقدم والرقى

١٨٤ صفحة على ورق أبيض
الثمن ٥ قروش

◆◆◆◆

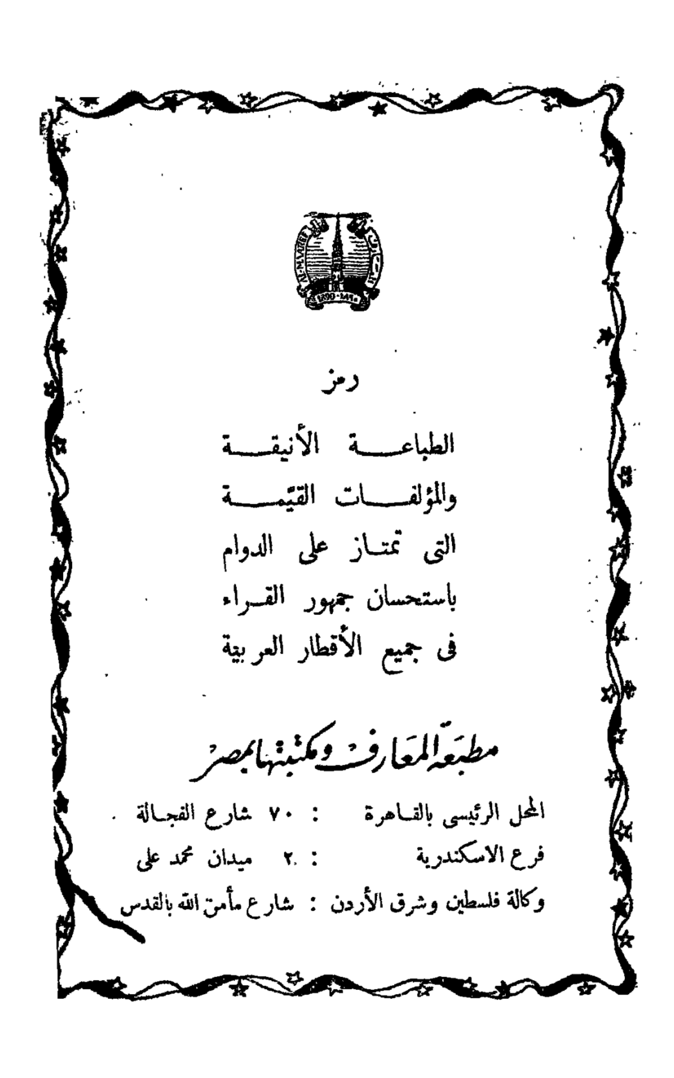
مؤلفات علمية

ص		
١٥	الصناعات الكيميائية فى مصر	للاستاذ حسن عبد السلام
٢٠	دخيرة العطار	للاستاذ حسن عبد السلام
٠٠	بسيط اللاسلكى (تحت الطبع)	للاستاد محمد عاطف البرقوقى
١٢	الغارات الجوية والغازات الحربية	للاستاذ محمد محمد فياض
١٠	التهاب المجموع العصبى	الدكتور كامل يعقوب
١٥	حبك الصوف	للسيدتين هناء معيقى وأسما عمون

للناشئة

٥	النمل البرى	للاستاد محمد عاطف البرقوقى
٥	النمل البحرى	الاستاذ محمد عاطف البرقوقى
٣	قصص علماء الطبيعه	للاستاد محمد عاطف البرقوقى
٧	المهندس الصغير	للاستاد محمد عاطف البرقوقى

ملتزم الطبع والنشر
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر



اقرأ

سلسلة كتب شهرية للجيب يشترك فى تأليفها
أشهر الكتاب فى مصر وسائر البلاد العربية
تصدرها مطبعة المعــارف ومكتبتها بمصر



الثمن بالنسخة

ه مليما   سوريا ولبسان   ٦٠ شا
السوداں   ٥٥ مليما   العـراق   ٦٠ فلسا
فلسطين وشرق الأ   ٦٠ مـلا

الـكتاب ٠ ا. نظهر ى ٠ رس ١٩٤٤